

مسرقيات قصيرة برنتهلت بريشت

همنجويل
الكتاب المقدس
الشحاذ أو الكلب الميت
كم سعر هذا الحديد؟
إنه يطارد الشيطان
موكب السمك
حياة كوفوتسه
رقصة الموت في سالزبورغ



ترجمها عن الألمانية
صفوان حيدر



مركز الشفايق العربي



مسرحيات قصيرة

بمشاركة بيربشت

* مسرحيات قصيرة
* المؤلف: برتولت بريشت
* ترجمها عن الألمانية صفوان حيدر
* الطبعة الأولى: حزيران 1991
* جميع الحقوق محفوظة:
* الناشر: المركز الثقافي العربي

* العنوان:

□ بيروت / الحمراء - شارع جان دارك - بناية المقدسي - الطابق الثالث.
* ص.ب. /5158- 113/ * هاتف /352826- 343701/ * تلكس /NIZAR 23297 LE/

..: الدار البيضاء ○ 42 الشارع الملكي - الأحياس * ص.ب./4006/ * هاتف /303339- 307651/
○ 28 شارع 2 مارس - إقامة 2 مارس * هاتف /271753- 276838/

مسرحدات قصيرة

برنتهالت برپشت

ترجمها عن الالمانية
صفوان حيدر



المركز الثقافي العربي

مقدمة المترجم

يُعتبر برتولت بريشت (١٨٩٨ - ١٩٥٦) رائد «المسرح الملحمي» الأول في القرن العشرين. لا يكشف المسرح الملحمي عن شخصيات ولا يعقد عقدة مسرحية مركزية، بل يروي ويسرد قصة. القصة هي التي تلفت، هي التي يتحتم عليها أن ترشد الممثلين وتهديهم. من ناحية أخرى، لا تبسط المسرحية الملحمية حدثاً كبيراً واحداً، بل تحبك عديداً من الأحداث الصغيرة التي تلقي الضوء على قضية ما، من زوايا مختلفة.

هذا هو الطابع المبتكر في مسرح بريشت: فنظراً لأن معرفتنا للتاريخ قد تطورت، يحاول هذا الشاعر الألماني أن يُظهر الكائنات البشرية في مواجهة بناء اجتماعي يكونها، يوجهها، ويلزمها.

مسرح بريشت يلقي الضوء على أثر متبادل، أثر البشر على المجتمع، وأثر المجتمع على البشر. وبهذا القدر يعبر المسرح الملحمي عن إثراء لمعرفتنا للإنسان، حتى لو رفض إرادياً أن يحسب حساب الشخصية الفردية وأهوائها وقلقها الميتافيزيقي.

كان المسرح الكلاسيكي، بدءاً بسوفوكل وانتهاءً بشكسبير، ميالاً إلى تقديم البشر في المواقف التي تتأزم فيها الأمور وتتطلب

حلاً حاسماً. على عكس ذلك، يتبع بريشت تطور البشر طوال حياتهم، لكنه لم يفكر أبداً في إنكار ما يدين به لشكسبير. بإمكان شخصيات مسرحيات بريشت الملحمية الكبرى، بدءاً من «دائرة الطباشير القوقازية» مروراً «بحياة غاليليو» إنتهاء بـ «إنسان ستيشوان الطيب» و«الشذوذ والقاعدة» و«أوبرا الثلاث بنسات» و«الأم الشجاعة وأولادها» و«السيد بونتيل وخدامه ماتي»، أن تطيع ضميرها الفردي، إلا أن أفعالها تبقى نتاج الواقع الاجتماعي - السياسي الذي اندمجت فيه.

هكذا يستطيع المشاهد أن يضع نفسه مكان الشخصيات مع الأخذ بعين الاعتبار «للمسافة المسرحية البرشتية» المستندة إلى وسائل مسرحية تقنية تحوّل المشاهد إلى متأمل للحدث المسرحي بغلاف المسرح الكلاسيكي الذي يحوّل المشاهد إلى مندمج في الحدث المسرحي.

ميزة المضمون المسرحي البريشتي عموماً، أنه يتناول علاقة الإنسان المعاصر بالمدنية الصناعية التي جسدت الحرب ذروة تأزمها. فلقد عاصر بريشت الحربين العالميتين متنقلاً بين أوروبا وأميركا، وإن كان يستند في تصوير تلك العلاقة أحياناً إلى أهداف تاريخية تعود لأزمة سابقة على القرن العشرين كما في «الأم الشجاعة وأولادها».

يكشف بريشت عن قوانين العلاقات السائدة بين الناس في زمن الحرب، سواءً أكانت هذه العلاقات دينية الطابع، ميتافيزيقية خلقية مرتبطة بنسيجها الاجتماعي كما في مسرحية «الكتاب المقدس»، المسرحية الثانية المترجمة في هذا الكتاب، أم كانت هذه العلاقات سلطوية طبقية إقتصادية - سياسية - تاريخية تتحكم بها آليات العلاقات المتعددة والمتنوعة بين أنماط إنتاج اجتماعية

مختلفة يستمد بريشت مصادرها من الشرق والغرب وبنى فكرية مفهومية مشتبكة في نسيج تلك العلاقات كما في «دائرة الطباشير القوقازية» و«شفيك في الحرب العالمية الثانية» و«السيد بونتيللا وخادمه ماتى».

المسرحية القصيرة الأولى في هذا الكتاب والتي عنوانها «هنيبعل»، تمتاز بنزعة ساخرة من الشخصيات العسكرية المحيطة بهنيبعل، القائد العسكري القرطاجي الشهير، على الرغم من إثارة بريشت عدم إيصال تلك السخرية حدّ التشهير الجارح والكاريكاتوري بهنيبعل بالذات، مما يدل على تعاطف بريشتي مبطن مع الأصول الأفريقية - الآسيوية التي تحملها تلك الشخصية العسكرية المتميزة.

المهم في تلك النزعة الساخرة أنها تغسل دماغ القارئ اللبناني من شحنات التمجيد الشوفييني لعسكريتارية أسلافنا الفينيقيين - القرطاجيين والتي - وللأسف - ما تزال تزخر بها كتبنا التاريخية المدرسية، تلك الشحنات التي لعبت دوراً كبيراً في تضخيم الصورة الهنيبعلية المشوهة في عقول صبيان «الميليشيات» من «قادة المحاور»، شرقاً وغرباً، وفي عقول جنرالات الانقلابات العسكرية وحروب التهجير - ولا نقول التحرير - نصّ هنيبعل، كما العديد من أعمال بريشت، إدانة ساخرة للنزعة العسكرية، قديمها وحديثها..

أما مسرحية «الكتاب المقدس» القصيرة الثانية، محاولة مسرحية كتبها المسرحي الألماني الكبير هـ كتبتها برتولت اليافع في سن الخامسة عشرة عن «الثانوية الرسمية في أوغسبرغ ونشرها عام 14 أوغفن» في كراس أدبي تصدره الثانوية

يتميز المضمون في مسرحية «الكتاب المقدس» بتناوله مفهوم العرض أو الشرف والعفة في خضمّ حرب دينية الطابع، تشبه في جانب منها وإلى حد بعيد، حربنا الأهلية اللبنانية المعاصرة، فيعمد بريشت إلى إظهار التناقض الصارخ بين التأويل اللاهوتي الديني النصي للعفة الذي تقدمه شخصية الجدّ، والتفسير العملي الواقعي للعفة الذي تقدمه شخصية شقيق الفتاة انسجاماً مع نزعة براغماتية إنسانية معاكسة للنزعة اللاهوتية المثالية، ترى أن إنقاذ حياة الناس أجدى بكثير من الإنحياز للمثالية الخلقية الإنتحارية التي ترى في صون عفة الفتاة «قيمة أعلى وأعلى من موت ألف إنسان».

يبقى أن نشير إلى أن معالم المسرح الملحمي، بتقنياته وأساليبه لا تتّضح في هذا العمل الباكوري لبريشت، إذ يغيب عن هذا العمل دور الراوي ودور الكورس، ولا يبقى من ملحمة هذا العمل القصير سوى الميزة الحكائية التي تضعنا في مناخ شبيه بمناخات شكسبير أو غوته أو سترندنبرج أو إبسن، وهي مناخات مثّلت دوراً كبيراً في تكوين الحساسية المسرحية عند بريشت اليافع.

أما المسرحية القصيرة الثالثة، «الشحاذ أو الكلب الميت» فيعرض فيها بريشت لموقفين متناقضين تاريخياً: السلطة العسكرية القائمة المتمثلة بالقيصر، وطبقة المسحوقين المتمثلة بالشحاذ. تناقض الموقفين ينسحب على الرؤيا، أسلوبية الكلام، ونوعية الإهتمام والتطلع. الشحاذ الأعمى، بسخريته وهلوساته «السوريالية» ينزل القيصر من عليائه إلى الحضيض، ليرينا بريشت كيف يستطيع المسرح أن يحيل السلطة «المحترمة» المخيفة إلى مسخ مضحك يثير الإشفاق.

أما المسرحية الرابعة «كم سعر هذا الحديد»؟ فتزدحم

بالدلالات التي تكسبها أهمية، خاصة في هذه الأيام، بمناسبة مرور نصف قرن على اندلاع الحرب العالمية الثانية: أحداث المسرحية تجري في متجر لبيع الحديد. الزبون يرمز لشخصية هتلر. بائع التبنك يرمز لبلاد النمسا. بائعة الأحذية ترمز لبلاد تشيكوسلوفاكيا. كلاهما فتك به الزبون ضارباً بعرض الحائط الموائيق والإتفاقات الدولية. أمّا الرجل والسيدة فيرمزان إلى المجتمع الدولي آنذاك، بينما يرمز بائع الحديد سفندسون إلى شركات صناعة الصلب والحديد الإحتكارية التي شجعت هتلر على إشعال فتيل تلك الحرب المدمرة التي ما نزال نعاني إفرازاتها في لبنان، كياناً عنصرياً، توسعياً على حدودنا الجنوبية..

أما المسرحية القصيرة الخامسة «إنه يطارد الشيطان» فيشهر فيها المسرحي الألماني الشهير قلمه، هذه المرة، بوجه مجتمع الريف، فيعري الريف من صنميات تقاليده ومعتقداته مظهراً أن علاقة الحب بين الفتى والفتاة تشكل تعدياً دائماً على شرائع الحياة الريفية ونقيضاً حياً وحرّاً للقوالب المعتقدية والتقاليدية التي ترزح تحتها مجتمعات الأرياف سواءً أكانت تلك الأرياف ألمانية أو شرق أوسطية.

المسرحية السادسة «موكب السمك» تعالج مشكلة الخيانة الزوجية في اللاوعي الزوجي بكثير من الرشاقة التمثيلية والفعل المسرحي المتوتر الدفاق بكل ما يصدر عن ذلك اللاوعي - السكران - من سلوك يثير السخرية والإشفاق في آن.

المسرحية القصيرة السابعة «حياة كونفوتسه» كتبها «بريشت» للأطفال حيث يسخر فيها الكاتب من النزعة التعليمية التهذيبية المتسلطة عند الكبار والمتجسدة في شخصية الفتى كونغ. هكذا يتحول مسرح الأطفال إلى إدانة ضاحكة من الصغار للكبار.

أما المسرحية الثامنة والأخيرة «رقصة الموت في سالزبورغ» فلا تتجاوز كونها حوارية شعرية مجتزأة تتضمن تأملات بريشت الميتافيزيقية في الموت من خلال علاقة الموت بالحاكم والمحكوم والعامل ورب العمل، وقد كتبها بريشت شعراً موزوناً مقفياً ولم تساعده الظروف على إكمالها، وبقيت معالم السخرية البريشتية واضحة حتى من خلال التجسيد الدرامي - الميتافيزيقي لشخصية الموت.

أخيراً لا بدّ من الإشارة إلى أن برتولت بريشت الذي كتب أكثر من ثلاثين مسرحية قد برهن على قدرة فائقة في تعاطيه مع اللغة الألمانية. فقد استطاع أن يصهر اللهجة الألمانية الجنوبية مع ألفاظ اللغة المحكية أو الرسمية أو الدينية في قالب متجانس سهل، ومع ذلك يمتاز بالدقة الفائقة في اختيار التعابير متجنباً استعمال الكلمات ذات المدلولات الواسعة الشاملة التي انغمس في لفظيتها المسرح الرمزي الأوروبي قبل بريشت، والمسرح الشعري الشكسبيرى والرومنطيقى.

نأمل بأن تُقدم هذه المسرحيات جديداً في الشكل والمضمون يحتاجه مسرحنا العربي في نهايات هذا القرن.

المترجم

بيروت، 1991/3/10

هنيبعل

(دراما في ثلاثة مشاهد)

الشخصيات :

- هنيبعل
- ماغو
- مارهابال
- كالب
- ماتان
- الجنود
- وثلاث رايات عسكرية

(منطقة جبال الألب. فصل الخريف)

هنيبعل: - إقرعوا الطبول!
الجنود: - جبال الجليد! جبال الجليد! جبال الجليد!
صوت: - حتام نتعفن في هذا الجليد؟
الجنود: - عفونة! عفونة! عفونة!
صوت آخر: - ما الذي تريدون؟
هنيبعل: - إيطاليا! إقرعوا الطبول!
الجنود: - وحول! وحول! وحول!
صوت: - أعطنا شمساً مشرقة!
الجنود: - الشمس! الشمس! الشمس!
هنيبعل: - هناك الشمس!
صوت: - الشمس؟ ليس إلا الثلج على جلودنا!
هنيبعل: - ما زلتم تحتفظون بجلودكم على الأقل!

صوت: - مطر أسود!
هنيبعل: - أين هو المطر الآن؟
صوت: - لقد جرفنا إلى الهاوية..
الجنود: - إلى الوحل! إلى الوحل! إلى الوحل!
أصوات: - تقدموا! تقدموا!
هنيبعل: - فلتقرع الطبول! فلتقرع الطبول!
صوت: - هل يطلع الصباح علينا عندما ينقضي هذا الليل؟
صوت آخر: - الرياح تعصف بنا!
صوت: - فلنبق راسخين كما هذا المطر!
جنود ماغو: - ماغو، ماذا ينبغي أن نفعل؟
ماغو: - تقدموا!
الجنود: - دون أقدام؟
ماتان: - استمروا في ركوب جيادكم؟
الجنود: - أين جيادنا؟
كالب: - صموداً فوق صهواتكم أيها المجانين!
صوت: - ارموه أرضاً! ذلك القائد الأبله!
هنيبعل: - ألا ترون ذلك الضوء الأخضر خلف ذاك الصنوبر؟
صوت: - إنه مخاط في عينك أيها الأعور!
هنيبعل: - بل هي الأرض السوداء! إنها إيطاليا!
صوت: - لم يعد هو نفسه يؤمن بما يقول!
صوت آخر: - صار يمشي في الليل بين الصنوبر وينادي روما!
هنيبعل: - امنحوني يومين آخرين فقط!
صوت: - ألكي نتعفن كلنا؟
الجنود: - يومان فقط!

صوت: - إيطاليا بين يديه على الخريطة؟ (ضحك).

صوت آخر: - والخريطة لا يفهم منها شيئاً! (ضحك أكثر).

هنيبعل: - إذا لم نشاهد الشمس في يومين، مزقوا الخريطة على صدري. أليس لديكم أنوف؟ إنه الصباح الباكر؟ ألا تشعرون بالصباح من خلال الريح؟ الريح تمضي إلى الأعلى. قريباً ترون الصنوبر.

صوت: - من أين علمت أن الريح تمضي إلى أعلى نحو الصنوبر؟

هنيبعل: - من صدري أيها الأخوة!

صوت: - إذن امنحوه يومين ومزقوا صدره بعدئذ..

الجنود: - حسناً! يومان فقط! ثم نشنقه هذه المرة..

هنيبعل: - تقدموا! (طبول).

الجنود (يتوافدون راكضين): - أيها القائد! وجدنا إثنيين من الأعداء بين الصنوبرات!

هنيبعل: - من الأعداء؟

الجنود: - رماة رومان! رائع! رائع!

هنيبعل: - إيطاليا!

أصوات الجنود (في المقدمة): - أيها القائد! هناك غابة صغيرة..

الصوت الثاني: - وخلف الغابة الصغيرة هناك الوادي..

الصوت الأول: - وعبر الوادي نشاهد ضوء الصباح..

الصوت الثاني: - وفي الضوء..

الصوت الأول: - في الضوء نشاهد أرضاً..

الصوت الثاني: - وتلك الأرض..

الصوت الأول: تلك الأرض..

هنيبعل: - إنها إيطاليا..

الجنود (في هتاف متوحش): - إيطاليا! إيطاليا! (بعضهم يرمون بأنفسهم على الأرض، وآخرون يتدافعون نحو هنيبعل)

(تقرع الطبول).

هنيبعل: - هل تريدون أن تروا مؤخرتي؟! ألم تسمعوا أن الأعداء يتجولون في الأودية الرمادية؟ (الجنود ينتظمون وقوفاً) فلتهدأ أكبادكم! (يمشي هنيبعل بين الصفوف) والآن، من سيحاول إيقافكن أيتها اللبوءات السوداوات المتمترات؟
الجنود: - لا أحد!

هنيبعل: - لا أحد.. فليلحس الواحد منكم جروحه! أما زالت سكاكينكم معكم؟
صوت: - نعم!

هنيبعل: - هلا أيقظتموها من خصوركم! هناك بعض الأكواخ في الوديان. هل ترون الدخان؟ هل تشمون إيطاليا؟ هناك النبيذ الأحمر! هناك النساء! انتظروا قليلاً.. ماذا أمامكم؟
صوت (في المقدمة): - أولاً هناك نهر دفاق..

هنيبعل: - انطلقوا عبر أمواجه..
صوت: - إنه عميق يغمر رؤوسنا..
هنيبعل: - إسبحوا فوق الدروع الخشبية!

* * *

(قاعة الاستشارات في قرطاجة)

(هانو، ملكير، كيسغون، باركاس)

ملكير: - واحد وعشرون فيلاً (تأوهات)، ثلاثون ألفاً من الأحصنة (أنين)، أحذية شتوية، أسلحة، ضباط وجنود (تأوهات وأنين)..
صوت: - بل حياة الناس! (تصفيق).
كيسغون: - لا بد من الصمت التام.
باركاس: - انتصار للجنس البشري.. وأنتم تحسبون التكاليف!
كيسغون: - نحن الذين ندفع.
ملكير: - مثل تلك الإنتصارات تلتهم الجنس البشري عن بكرة أبيه!

صوت: - ثلاثون ألف روح إنسانية!
ملكير: - وستون ألف حذاء شتوي!
باركاس: - أنتم حقاً حطام وركام!
الصوت الثاني: - والإهراءات في إسبانيا خالية من القمح!
كيسغون: - ومناجم القصدير!
باركاس: - يا للمساكين! لقد انتصرتم على أعلى جبال العالم!
الصوت الأول: - حياة إنسان واحد أكثر أهمية من كل جبال العالم!
الصوت الثالث: - يا للحماس! يا لنشوة هؤلاء الغرباء عن العالم!
حيث ينضد النجار، تتساقط النشارة..
الصوت الأول: - امنحوا البؤساء في مناجمكم الزئبقية أحذية أولاً!
الصوت الثالث: - أنت يا من تحرض الشعب على الثورة! هل تريد الذهاب إلى هناك؟
الصوت الثاني: - بل أحرص الشعب ضد هنييعل!
الصوت الأول: - الخيول تشكو حظها والناس يشنقون أنفسهم!
الرابع: - ما جدوى الخيول والأحذية أمام أعظم انتصار في التاريخ. خذوا كل ما تحتوي مناجم سردينيا عشرات المرات لتعوضوا ذلك الانتصار!
الصوت الثالث: - تأتينا الآن كالهدية فرصة شنق بعض المارقين الخطرين الفاقدين أوطانهم..
الصوت الرابع: - إتخذوا أشد الإجراءات!
الصوت الأول: - فيما يخص العبيد الذين يهلكون في مناجم الزئبق، ينبغي عليكم حسب القوانين الإنسانية..
الصوت الثاني: - الإنسانية! بينما إسبانيا تنكشف للأعداء!
وذلك الجيش في إيطاليا يسرع بالثياب الممزقة نحو روما.
الصوت الثالث: - المال لذلك الجيش!
باركاس: - نعم.. أحذية، سفن، أسلحة لهنييعل. (تصفيق).
الصوت الرابع: - الموت لفاقدي الأوطان!

الصوت الثالث: - وليحيى هنيبعل!
ملكير: - الأحذية يمكن تأمينها من الدكاكين الجبلية في أوروبا..
الصوت الأول: - نعالها مثقوبة! (تصغير).
كيسغون: - والسفن يمكن مصادرتها من تجار العبيد..
الصوت الأول: - صارت مهترئة! (يهددونه بقبضاتهم الغاضبة)..
باركاس: - جنود لهنيبعل!
الصوت الثالث: - جنود!
هانو: - حسناً. سيحصل هنيبعل على مطالبه. ملكير وكيسغون
سيتوليان إدارة الإقليم الجديد..
الصوت الأول: - مهربون مرابون!
هانو: - إنه يشتم الدنيا بأسرها! (يدفعون الصوت الأول إلى خارج
القاعة).
أصوات: الموت لفاقدي الأوطان!
هانو: - أنا بنفسى سأنتقى الجنود لهنيبعل. (تصفيق).
لا أحد سيجرؤ على القول إن قرطاجة تخلت عن أبنائها.
(تهليل وابتهاج).

* * *

(في وحول أرنو. فصل الصيف)

الشخصيات: الجنود، هنيبعل، ماغو، ماتان، مارهابال،
يستعدون للتحرك:
ماغو: - انتصار في تيزينوس. انتصار في تريبيا. سنبقى ننتصر
حتى الموت.
ماتان: - علينا أن نعلق إشارات على الطرق لترشدنا..
هنيبعل: - هذا ما أريد. لقد أصبحنا في منتصف الطريق عالقين..

ماتان: - نعم، لأن الوقوف في الوحل، أمر لا يمكننا أن نستمر في احتماله..

الجنود (يجرون عربة عن قرب): - يا لها من شمس! ألا تقودنا يا هنيبعل قريباً إلى الأمام؟
هنيبعل: - تقدموا!
ماغو: - عندما تعلقون في نتوءات الجليد، تصرخون طالبين منه أن يمضي بكم قدماً!

ماتان: - أجسادهم حمراء كأنها مسلوخة!
ماغو: - لماذا تبقون واقفين دائماً؟ على المرء أن يغرق أحياناً!
هنيبعل: - بعضهم غرق فعلاً!
جندي: - أيها الرئيس! أريد أن أنام!
الرئيس: - تمدد على الوحل، خذ استراحة أبدية!
(ضحك متعب).

ماتان: - لو نشاهد عدواً واحداً!
هنيبعل: - لقد قتلناهم جميعاً!
مارهابال: - كم أنتم أغبياء! كيف تتحملون مثل هذه الآلام؟
ماغو: - لم ننته من الأعداء كافة بعد. بعضهم أبقيناه على قيد الحياة.

مارهابال: - والغاوة! أما استبقيتموها معكم أسيرة حرب؟
هنيبعل: - ألسنت من قال لنا: الغاوة صديقتنا..
ماتان: - لماذا تتخاصمون؟ عندما تتوقف قرطاجة عن مساعدتنا بإمكانكم أن تتعاركوا بهدوء. (جنود يحضرون بعض الفلاحين المقيدون بالأغلال).

الجنود: - أيها القائد! هؤلاء الخنازير خنقوا رجالنا أثناء تجوالهم.
هنيبعل: - وهل التهمتم منازلهم؟
جندي: - رجالنا قالوا لهم إنه غير مسموح لهم أن يناموا قربنا..
هنيبعل (للفلاحين): - أترفضون أن تتكلموا مع رجل زنجي؟
أحد الفلاحين: - أيها السيد! لقد أحرقوا أكواخنا!

جندي: - أترى كيف يكذب. ألا ينبغي أن يشنق فوراً؟
هنيبعل: - لا، لا يا صغيري. أحسنت فعلاً في أنك لم تشنقه. لديه امرأة حامل. فليسمح له بالكلام.
ماغو: - ألا تحترق تلك الأكواخ هناك؟
هنيبعل: - كلا! تلك ليست بالأكواخ! إفحصوا آثار الدماء على المخنوقين.

مارهابال: - إفسحوا مكاناً أيها الجنود!
ماغو: - والآن أيها الأصدقاء. هل وجدتم طعاماً؟
(أحد الغاليين نحيلاً، مقوس الظهر): - كلا، لا طعام.
ماغو: - إذن هل هو النبيذ الأحمر، ذلك الذي يسيل على ثيابك؟
الغالي: - لا نبيذ أحمر. لا طعام. لا شراب. نحن لا ننام منذ أن غادرنا غاليا..

هنيبعل: - حقاً! أنت تبدو في حالة مزرية!
مارهابال: - إنهم جنود طيبون.
هنيبعل: - حقاً لكنهم يبدون في حالة سيئة. هل تنتمون لقيادة كالب؟

الغالي: - نعم سيدي. كالب خلفنا ليل نهار. ومن منا ينام، يوقظه كالب فوراً.

هنيبعل: - اشكروا الإله على أنكم لم تغرقوا في الوحول!
مارهابال: ليس عندهم ما يؤكل.

ماغو: - هل عندك يا مارهابال ما يؤكل؟
هنيبعل: - كلا. إنه لا يملك شيئاً. فقط يملك الكراهية ضدي.
مارهابال: - بلى. عندنا ما يؤكل. بالأمس مساءً كان لدينا بعض اللحم!

ماغو: - هذه خيانة!
هنيبعل: - إنها الخيول التي نفقت. لكن، يا أحبتي، ليس مسموحاً لكم، على الرغم من ذلك، أن تحرقوا الأكواخ، لأن ما تحصلون

عليه ملك لهم. أليس كذلك؟ (الفلاحون يتأوهون).

هنيبعل (للجنود): - ألم تحطموا أكواخ الغاليين؟

الفلاحون: - نعم أيها القائد؟

هنيبعل: - والآن تريدون البقاء في أرضهم. (للجنود) ماذا يعني هذا؟

الفلاحون: - نعم أيها القائد!

هنيبعل (للجنود): - أحسنوا التصرف يا أحبتي. اعتنوا بهم.

الفلاحون (يصرخون بحماس): - نعم أيها القائد!

هنيبعل: - والآن أحضروهم جميعاً! أصحاب الأكواخ وضيوفهم، إلى الجانب الآخر هناك، كي نسمع كلامهم.

(يحدث ذلك).

ماغو: - أليس هؤلاء من أتباعك يا مارهابال؟

مارهابال: - نعم إنهم خدمي.

هنيبعل: - شمس حمراء هذه الإيطالية!

ماتان: - ليتنا نجد شيئاً يؤكل!

الجنود (يبدأون السير): - أليس لديك ما تأكله يا هنيبعل؟

هنيبعل: - أليس لديكم أطافر في أصابعكم؟!

الجنود: - متى تأخذنا لمعركة أخرى؟ ألسنتنا تتدلى حتى بطوننا.

النبذ الأحمر انتهى ولا نستطيع أن ننام.

هنيبعل: - هناك معركة أخرى أيها الجنود!

الجنود: - وقبل ذلك، هل من شيء نأكله؟

هنيبعل: - لحم الخيول!

الجنود: - كيف صارت عينك؟

هنيبعل: - لقد أصبحت تالفةً فاسدة!

الجنود: - لا عليك! لا تهتم! ما زلت تملك واحدة أخرى!

هنيبعل: - أعلم ذلك. أما أنتم فالتهموا مزيداً من البصل.

ادخلوه بين الفكين ولا تبصقوه. لا تبصقوا بصقة واحدة.

أليس طعمه رائعاً؟!
الجنود: - كلا. ليس رائعاً!
هنيبعل: - هل له مفعول سيء؟
الجنود: - نعم آلام في البطن.
هنيبعل: - إذن.. أحرقوا كل الأكواخ التي تعترضكم!
مارهابال: - ألكي يتمادى الغاليون علينا ويتمردوا؟
هنيبعل: بل ليبقوا بيننا!
ماغو: - هل ستتحسن أمورنا غداً؟
هنيبعل: - لست أدري.

الكتاب المقدس

(دراما في فصل واحد)

الشخصيات:

- الجد
- الأب، الذي يشغل منصب
رئيس بلدية المدينة
- الفتاة
- الأخ.

(تجري أحداث هذه الدراما في أثناء الحروب الأهلية - الدينية التي وقعت في هولندا وفي إحدى المدن البروتستانتية التي يحاصرها الكاثوليك)

المشهد الأول

(فناء صالون فخم لبيت يقع في وسط سوق المدينة. في فناء البيت الخارجي، نافذة عاكسة عليها إفريز من الزهور. على الطاولة يقرأ الجد. في الفناء الخارجي تجلس حفيده، الفتاة الحسنة. من وقت لآخر يرتج الفناء بهدير قصف آتٍ من بعيد).

الجدّ: (يقرأ بصوت احتفالي مرتفع) - وفي الساعة التاسعة نادى يسوع عالياً وقال: «إلهي، إلهي، لماذا تخليت عني؟». وبعد قليل سخر الواقفون حوله منه وقالوا: «لقد كان يساعد الآخرين دائماً، لكنه لن يستطيع الآن أن يساعد نفسه. إنزل أيها المسيح عن الصليب وسوف نؤمن بك». عندها صرخ يسوع للمرة الأخيرة: «لقد تمّ كل شيء». وحنى رأسه ومات.

الفتاة: الجو خائق هنا بشكل غريب. ليس من إنسان واحد في الشوارع. أنا خائفة.

الجد: المواطنون يدافعون عن الأسوار يا ابنتي. لهذا تبدو المدينة فارغة... ولذا، عليك ألا تخافي.

الفتاة: أعتقد أن الهجوم سيبدأ قريباً. لكنني لست خائفة بسبب ذلك.

الجد: (لا يجيب ويستمر في تصفح الكتاب المقدس).

الفتاة: لا أعرف من أين يأتي هذا الخوف. بدأ ينتابني منذ صباح هذا اليوم. ولقد شاهد أخي حالتي المزرية. أخبرني: اليوم تنجلي الأمور. سيكون من الصعب وقف القصف. نحن نضحي بأنفسنا عن طيب خاطر. لقد شدد على كلمة «نحن». هذا الكلام ليس مهماً. لكنه كلام يدور حول المعنى الجوهرى، هكذا أصبحت أخاف فجأة، وبشكل دائم، ولا أعرف لماذا؟. الجد: تخيلات وأوهام! غالباً ما تمضي هذه التخيلات إلى الأمام وتعود إلى الوراء. لم أشعر أبداً بهذا الخوف الذي عنه تتحدثين.

الفتاة: (محدقة) - أعلم أنها تخيلات غالباً ما تتلاشى. أنا لم أقلق يوماً كما اليوم.

الجد: هذا اليوم سيكون من أصعب الأيام. العدو سيجتاحنا. نحن هنا ولا نستطيع أن نفعل شيئاً. نستطيع أن نطلب العون من الله فقط. دعيني أصلي. أريد أن أبحث عن العزاء في الكتاب المقدس.

الفتاة: (متطلعة نحو النافذة) - أشعر أنني سأختنق في هذا اليوم. (صمت).

الجد: لو حدث ذلك لوجب عليك أن تهربي إلى الجبال. أصمدي وكوني صادقة مع نفسك. كل ما سيحدث يعتمد على صمودنا. الفتاة: (شاخصة نحو البعيد) لماذا لا تقص عليّ شيئاً آخر يا جدي.

كتابك المقدس بارد. إنه يتحدث عن أناس أشد بؤساً منا.
الجد: يا فتاتي لا توقعي نفسك في الخطيئة. (يقرأ) «أقول لكم،
أحبوا جيرانكم. تقاسموا الخبز مع الجائعين وتشاركوا بالألم
مع من يعرض له الألم. (يتصفح الكتاب المقدس).
الفتاة: (بعصبية كأنها أُصيبت بمس) - إحك لي شيئاً آخر. كتابك
المقدس بارد. إحك لي شيئاً عن الفقر والموت، مشفوعين
بعون الرب. إحك لي عن الآلهة الأخيار المنقذين. كتابك
المقدس لا يعرف سوى الذين يستحقون العقاب.
الجد: «من يحب أباه وأمه أكثر مني ليس جديراً بحبي». هذا الكتاب
المقدس جميل لأنه يضج بالقوة. على البشر أن يعتادوا على
تلاوته.

الفتاة: (مصغية) أسمع خطوات على الدرج. إنها خطوات متناقلة
منهكة. ذلك الذي يخطو هكذا، ينبغي أن يكون رجلاً مسناً
بائساً. سأذهب لأرى.
(تذهب ناحية الباب).
الجد: (هامساً): أعتقد أنني أعرفه، ذلك الذي يمشي بخطوات
متناقلة...

المشهد الثاني

(يدخل والد الفتاة رئيس بلدية المدينة مع ابنه. رئيس البلدية رجل
ضخم يوحى مظهره بالمهابة. يعانق الأخ أخته باندفاع جارف):

الأخ: (متظاهراً بالمرح والسرور) أه يا أختي. يبدو أنه نهار جميل
جداً! القذائف تنهمر علينا كالمطر! (بجد) لكن، لقد قمنا
بواجبنا.

(صمت).

الفتاة: كيف الأمور في الخارج يا أبي؟ تبدو ان هادئين وواجمين. لا بد من أن شيئاً خلفكما.

الأب: (متأملاً ابنته) الأمور سيئة يا ابنتي. (بألم) لقد عرفنا منذ الصباح أننا لن نستطيع أن نصمد أكثر...
الجد: (بهدهوء) لقد عرفنا ذلك أيضاً...

الأب: لم نخبركما بذلك. لم نشأ أن نثيركما. لكن الآن ما ينبغي أن يقال يجب أن يقال، أخبرهما أنت يا ابني..

الأخ: (متردداً) ليس هناك الكثير مما أود قوله. منشأتنا مقفلة ومنخورة بالقذائف كالغربال. لقد اشتغلنا ليلَ نهارَ لنبقىها في حالة حسنة. لكن مساعينا لم تجد نفعاً. الجوع في المدينة. أننا لا نعرفان ذلك. في أحياء المدينة السفلى يموت الناس.
الفتاة: يجب أن نقدم لهم بعض الطعام يا إلهي! نحن نعيش في بحبوحة والناس يموتون جوعاً.

الأب: لا نستطيع أن نساعدهم. إنهم كثيرون. أنتِ تحطمين نفسك بهذا التفكير.

الأخ: الجوع في المدينة. الناس منهكون. بالكاد يستطيعون الوقوف على أقدامهم. واليوم في تمام الساعة الثالثة ستبدأ العاصفة الكبرى. سيجتاحنا الكاثوليك. لن نستطيع أن نصمد أكثر.
الجد: (يقف متحمساً) علينا أن نصمد. النصر أو الموت. فليذهب الجميع إلى الأسوار. عليهم أن يقاتلوا ويموتوا في سبيل معتقدتهم. صريح كلام السيد المسيح!

الأخ: (ساخراً) صريح! هاها! أتعرف يا جدي، أسهل على المرء أن يكون صريحاً عندما يكون بطنه مملوءاً، خصوصاً في أوقات السلم وفي مثل هذا الفناء الفخم. كفاك تفكيراً بالنصر. لقد سيطر الكاثوليك على البلاد. ونحن، آخر مدينة بروتستانتية، نبولُ الآن في سراويلنا!! العدو سيقطم المدينة. ماذا سيحدث بعدئذ؟ هل بإمكانكم أن تتصوروا؟ مصير المدن

الأخرى ينبغي أن يعطينا درساً. سيمسكون بالنساء والأطفال
و... والآن ماذا أقول أكثر يا أبي.. لا أستطيع..
الفتاة: ما الذي لا تستطيع؟ لماذا ترمقني بمثل هذه النظرة
المخيفة؟ (صمت).

الأب: (متعباً) قبل قليل جاء الرسول. رسول أتى من معسكر
الأعداء... يا إلهي!

الفتاة (متجهة نحو والدها) تكلم يا أبي! نريد أن نسمع كل شيء!
الأب: أخ يا إلهي! لا بد من أن أقولها! الرسول قال إن الكاثوليك
سيغفون عن المدينة إذا تحول سكان المدينة إلى الكتلة و..

الجّد: (صارخاً) أبداً لن يحدث ذلك! سنقاتل حتى الموت!
الأب: وإذا قبلت ابنة رئيس البلدية أن تقدم نفسها... لقائد
الأعداء... لليلة واحدة.. أنتِ أيتها الابنة!

الفتاة: أنا؟! أنا يجب أن أقدم نفسي.. يا إلهي! يا إلهي!
الجّد: (بعنف) يا فتاة! قدّمي الجواب!
الفتاة: كيف أفعلها؟! كيف أفعلها؟! أه رأسي (تصرخ بعنف) لن
أفعل ذلك! لن أفعل ذلك! لا أستطيع.. (ترمي بنفسها على ركة
جدها).

الأب: (باكياً) لقد توقعت ذلك!
الأخ: (بحدة، بينما ترتمي الفتاة على كتفه) أختي! يجب أن تفعليها!
شعب بأكمله يطالب بتضحية!

الجد: إذهب بعيداً أيها الغاوي الحقير!
الأخ: (في سخرية حائرة) الغاوي الحقير! هاهاها! الآن عندما يتعلق
الأمر بحياتنا أو موتنا فليسقط التهذيب! ولتسقط الأخلاق
الانتحارية السامية! أختي، أقولها لك، يجب أن تفعليها!!
أختي ستنقذين شعباً من الموت! شعباً بأكمله! ستنقذين
أقرباءك. والدك! جدك! ستبعينني إلى الفناء الخارجي إلى
الشارع، لأسلمك إلى رسول الأعداء.

الجد: إنها لن تنقذني! أنا باق هنا!
الأخ: (بعنف) يا إلهي! ألا تسمع القذائف! أختي! جدي! تكلم معها،
قل لها إنه يجب أن تقبل..
الجد: كلاً! يجب ألا تقبل! إسمعا، يجب ألا تقبل.. روح واحدة أكبر
قيمة من ألف جسد...

الأخ: (بعنف) اصمت أيها المجنون! نعم أنت مجنون! بل أنت
متوحش! في الخارج يستغيث الناس وأنت لا تسمع! في
الخارج تشتعل السنة اللهب وأنت لا ترى... أيها الجد،
عندما يأتي يوم الحساب، كيف ستقف أمام الديان؟

الجد: (بصوت حديدي) ربي سينصفني! أقولها لك: ربي سينصفني!
الأخ: (صائحاً بعصبية) الإنصاف! العدالة الإلهية! فلتبق في جنونك!
فلتبق في عدالتك العنيدة الحمقاء! هاها! (ينتفض فجأة بعدما
تقرع الساعة مرتين). إنها الثانية والنصف قبل الثالثة! يا فتاة
تعال! الساعة الثالثة هي المهلة الأخيرة! ثم يبدأ الإجتياح.
إرحمي يا فتاة آلاف الناس!

الفتاة: أبي، أتعلم أنت أيضاً أن أفعل ذلك؟

الأب: (يصمت).

الأخ: طبعاً هو يقبل ذلك! أبي، قل لها إنك موافق. بالتأكيد يقبل
الوالد. تعالي يا فتاة.

الفتاة: أنا قادمة...

الجد: (يوقفها) لا تتحركي! ألا تعرفين كلمة الرب يسوع: «من
ينكرني أمام الناس سأنكره أمام أبينا الذي في السموات»! يا
فتاة! يا فتاة! أليست روحك أكثر قيمة من أجساد الآلاف؟ حقاً
قال السيد المسيح: «من أحب أباه وأمه أكثر مني ليس جديراً
بي»! يجب أن تصمدي، فكري بروحك.

الأخ: اصمت أيها المجنون العتيق! أنت وكتابك المقدس البارد
المنتحر مثلك! إتبعي قلبك يا فتاة! أليس جديراً أن تتألّمي من

أجل الآلاف! تعالي بسرعة..
 الفتاة: كلا.. كلا.. إذهب بعيداً.. جدي على حق.. إذهب بعيداً.
 الأخ: (يهزها باهتياج) بل ينبغي يا فتاة! بل ينبغي!
 الأب: اتركها! لا تجبرها..
 الأخ: أنت أيها «الكراكون» الضعيف! إقنع ابنتك أن تقبل..
 الأب: يا غلام! ابتعد عنها! أنا أمرك هذا يكفي؟! تعال معي (يجر
 الأب ابنه نحو الباب).
 الأخ: (مخاطباً أخته وجده بمرارة) تهتمان بروحيكما فقط! هاهها!
 (يذهبان. يعود الأب بمفرده).
 الأب: (محبطاً) على الأقل أخذت ابني معي لأنقذكما.. لكن في أية
 لحظة يمكن أن تقع قذيفة هنا.. وسيشتعل البيت.. تعالاً..
 الجد: (باعتران) اصمت! سنبقى هنا! لن نخون أنفسنا كما فعلتما!
 سننزل إلى أسفل إذا لزم الأمر. من أجل الحفاظ على معتقدنا
 فقط... (بقوة) لم يعد لديك ما تقوله.
 لقد أردت أن تبيع روح ابنتك! إذهب بعيداً! أنت لست جديراً
 بأن تراها..
 الأب: (متهالكا، أجوف ومرتجفاً) نعم! لست جديراً! معك حق! لست
 جديراً.. (يتوارى)..

المشهد الثالث

(رعد المدافع يعلو من بعيد. الهدوء نفسه في فناء البيت. الفتاة تقف
 من جديد أمام المصطبة. الجد يقف قريباً ويمسك شعرها بأصابع
 كفيه النحيلتين البيضاويتين).

الجد: كفاك بكاء يا فتاتي! هذا ما كان ينبغي أن يحدث!
 الفتاة: كنت قاسياً يا جدي!

الجد: كان ينبغي أن أكون قاسياً. لقد أرادا أن يبيعا روحك الطاهرة!

الفتاة: (حالمة) ربما لم يشأ والدي ذلك.. أبي كان دائماً طيباً نحوي.. عندما كنت صغيرة كان يحملني دائماً بين ذراعيه ويقول: أنت طفلي الصغيرة الحلوة. أعتقد أنه كان يحبني أكثر من أخي. ثم ماتت والدتي. أتذكر موبها كما لو أنه حدث اليوم. كانت مستلقية في ثوبها الأسود وثلاث شموع بيضاء عالية للموتى بقيت تضيء طوال الليل. جلسنا طوال الليل حولها، نحن الأطفال، وبكىنا... في الصباح جاء والدي، حملني بين ذراعيه وقبلني. الآن يجب علينا أن نمسك أنفسنا عن البكاء، قالها والدي. أنت أكبر قيمة لي من مئة صديق. ثم قَبَّلَ أُمِّي. قام بالعمل كمن يقسم يميناً. لا أعرف لماذا أستعيد الآن تلك الليلة الكئيبة.

(في تلك اللحظة تنفجر خلف النوافذ قذائف نارية. يشع الفضاء خلف البيت بلون أحمر دموي. يجلس الجد على كرسيه)

الفتاة: (منحنية فوق النافذة) النار تتسع وتنتشر. لقد طاولت برج المدينة هناك. كل ما في المدينة يحترق الآن. سور المدينة ينتصب أسود في السماء الحمراء. بدأ العدو هجومه. أرى صفوفه السوداء اللامعة وهي تتقدم. أسمع صراخهم من بعيد. يا إلهي! رَنَ عطوفاً على مدينتنا المسكينة.

الجد: فليجتاحنا الأعداء! الله معنا!

(رعد المدافع يشتد وعبر النافذة تتراقص ألسنة اللهب).

الجد: الزمي الهدوء يا طفلي. الله إلى جانبنا!

(يبدأ قرع أجرء الكنائس).

الجد: (بنشوة) أسمع الأجراس يا طفلي! أجراس الهجوم! الله قريب! إنها أصوات الإله! إنها تدعونا إلى القتال!

الفتاة: (كمن فقد صوابه) الأجراس.. أصوات الإله.. (تصرخ): سيدي الإله! أصوات الإله! (تمشي أمام جدها كمن أصيب بصمم. يسحبها جدها من أمام النافذة).

(يعلو صوت القذائف ويشتد. انفجار شديد يهتز له المنزل. الظلام يسود المسرح. يندفع الدخان والنار نحو نوافذ الفناء. يبدأ المنزل بالاحتراق. ثم فجأة يسود الهدوء).

الجد: (عالياً وبابتهاال) سيدي المسيح إبقَ إلى جانبنا. فسيأتي الليل وها هو نهارنا قد انتهى..

(تنسدل الستارة على نيران مندفعة من النوافذ تلتهم كل شيء..).

الشحاذ
أو
الكلب الميت

(دراما في مشهد واحد)

الشخصيات:

- القيصر
- الشحاذ
- جنود

(بوابة عالية. إلى يمينها يقف الشحاذ. غلام أعمى رث الثياب، جبينه
كلسي أبيض ويتدلى صندوق على صدره. الوقت صباح باكر. تسقط
قذيفة مدفع. يدخل القيصر محاطاً بالجنود. شعر القيصر طويل،
أحمر اللون، ولا يعتمر قبعة. يرتدي معطفاً صوفياً بنفسجياً. تقرع
الأجراس):

القيصر: - في هذه الساعة، إذ أمشي إلى احتفالات النصر على
عدوي الغاشم وإن تزدهي البلاد باسمي الذي يمتزج بالبخور
الأسود، يقف شحاذ أمام بوابتي تفوح منه رائحة البؤس.
(ينصرف الجنود). أتعرف يا هذا لماذا تقرع الأجراس؟

الشحاذ: - نعم، لأن كلبتي قد مات.

القيصر: - أية وقاحة هذه!

الشحاذ: - كلا، بل كان مصاباً بضعف الشيخوخة! لقد صمد حتى
النهاية. كنت أتساءل: لماذا ترتجف رجلاه هكذا؟ كان يلقي
بقائمتيه الأماميتين على صدري. هكذا استلقينا طوال الليل
حتى عندما صار البرد لانزعاً. لكن في الصباح الباكر كان قد
أسلم الروح. سحبته بعيداً عني. والآن لا أستطيع الذهاب
إلى البيت لأن الكلب تعفن وتفوح منه رائحة الموت.

القيصر: - لماذا لا ترمي به بعيداً؟
الشحاذ: - هذا أمر لا يعنك! يبدو أن لديك صدرًا أجوف كثقب في
الماء القذر. ذلك أنك قد سألت سؤالاً غيباً. كل الأسئلة غبية!
خصوصاً أسئلتك هذه..

القيصر: - ومع ذلك أسألك مرة أخرى من الذي يكدرك؟ لأنه إذا لم
يكدرك شيء يتوجب عليك أن تغادر المكان. هنا ليس مسموحاً
لأي حمار أن يتعفن ولا لأي صرخة أن تعلو..

الشحاذ: - هل أصرخ أنا؟

القيصر: - الآن أنت تسأل نفسك مع أن التهكم كامن في هذا
السؤال. تهكم لا أفهمه.

الشحاذ: - ولا أفهمه أنا أيضاً.. الأمر متروك لي..

القيصر: - لن أكف عنك. من الذي يكدرك؟

الشحاذ: - أحياناً يكدرني غلام جعل من أمه ملاكاً بينما كانت
مهمتها اقتلاع البطاطا وتنظيفها..

القيصر: - هل عندك أبناء؟

الشحاذ: - إنهم أمامك..

القيصر: - كيف هو جيش القيصر تالي الذي حفر الخنادق في رمال
الصحراء؟

الشحاذ: - لقد زحف القيصر عبر الصحراء ورجاله قالوا: إنها
بعيدة جداً. عُذْ أدراجك يا تالي. لكنه قال: هذه الأرض ينبغي
غزوها. هكذا راحوا يتقدمون كل يوم حتى اهترأت أحذيتهم
وتشقق جلودهم لكنهم استمروا في التقدم. الزوابع أربكت
جمالاً وأبعدته عن الدرب فمات تحت أبصارهم إلى أن جاؤوا
إلى واحة وقالوا: هكذا هي أرض الوطن. هناك سقط الابن
الصغير للقيصر في الجب وغرق. حزنوا عليه سبعة أيام.
الأمهم كانت بلا حدود كانوا يشاهدون خيولهم وهي تنفق. ولم
تستطع نساؤهم أن تضاجعهم. ثم جاءت الرياح والرمال التي

غمرتهم وانتهى كل شيء وبدا ساكناً وأصبحت تلك الأرض ملكاً لهم. لقد نسيت أسماءهم..

القيصر: - من أين علمت بذلك؟ كل ما قلته غير صحيح. كان الأمر مختلفاً تماماً..

الشحاذ: - عندما كان والدي قوياً جداً وحين كنت بعمر أطفاله زعقت عالياً لأنني لم أسمح لأحد بأن يتحكم برقبتى.

القيصر: - عمّ تتكلم؟

الشحاذ: - تراجعت الغيوم. عند منتصف الليل ستتطمح النجوم. ثم يعم السكون.

القيصر: - هل تصدر الغيوم أصواتاً؟

الشحاذ: - بعض الشيء، إلا أنها تموت في الأكواخ القذرة عند النهر. لقد استقبلناها في الأسبوع الماضي، لكنها لم تصل إلينا.

القيصر: - ما دمت تعرف كل هذه الأمور.. ألا تنام؟

الشحاذ: - عندما أستلقي على الحجر يصرخ الطفل الذي يكون قد ولد. ثم تأتي ريح جديدة.

القيصر: - مساء البارحة كانت النجوم ساطعة ولم يمت أحد عند النهر، ولم يولد أي طفل، ولم تكن هناك ريح..

الشحاذ: - إما أن تكون مصاباً بالعمى والطرش والجهل وإما أن يكون قد مسك شر ما.. (فترة صمت).

القيصر: - ما الذي تفعله دائماً؟ لم أرك أبداً قبل الآن! أية بيضة فقسستك إلى هذا العالم؟

الشحاذ: - اليوم لاحظت أن الذرة فاسدة هذا العام لأن المطر انقطع عنها. وريح ساخنة مغبرة تلفحنا آتية عبر الحقول..

القيصر: - هذا صحيح. الذرة ليست جيدة هذا العام.

الشحاذ: - هكذا كانت منذ ثمانية وثلاثين عاماً. الذرة أفسدتها الشمس. قبل أن تصبح فاسدة جاءت أمطار قليلة فاستفاقت

الفئران والتهمت كل الحقول الأخرى وحولتها إلى صحراء. ثم انتقلت إلى القرى وافترست الناس. لكن هذه الأسنان البشرية الأخيرة أهلكتها..

القيصر: - لا أعلم شيئاً من ذلك إنه اختراع منك مثل الاختراعات السابقة. في التاريخ لا يوجد مثل تلك الاختراعات. الشحاذا: - ليس هناك تاريخ.

القيصر: - والإسكندر؟ ويوليوس قيصر؟ ونابليون؟

الشحاذا: - قصص وحكايات! ماذا تقصد بذلك النابليون؟

القيصر: - الذي اجتاح نصف العالم وانهارت تحت وطأة غروره.

الشحاذا: - هذا ما لا يصدقه أكثر من اثنين. نابليون والعالم! ذلك

تزييف محض في الحقيقة كان نابليون رجلاً مارس التجديف في نادي المجدفين وكان لديه رأس كبير. قال له الجميع: نحن لا نستطيع التجديف لأن المكان صغير لزنودنا. وعندما غرقت السفينة بعدما توقف التجديف فيها، انتفخ رأس نابليون بالهواء وبقي حياً هو وحده، ولأنه كان مكبلاً بالحديد وجب عليه أن يستمر في التجديف، لم يستطع أن يرى الاتجاه من تحت السفينة فالجميع كانوا قد غرقوا. هكذا راح يهز رأسه تحت السفينة، ولأن رأسه كان ثقيلاً جداً، سقط وتهاوى.

القيصر: - هذا هو الأغرب بين ما سمعته. لقد خيبت أُملي كثيراً بهذه القصة. القصص الأخرى كان سرديك لها جيداً على الأقل. ما رأيك بالقيصر؟

الشحاذا: - لا يوجد أي قيصر. وحده الشعب يعتقد بوجود مثل هذا القيصر. عندما يتم صنع العديد من العربات العسكرية وتقرع الطبول، عندها تقع الحرب ويجري البحث عن خصم.

القيصر: - لقد تمكن القيصر الآن من أن يهزم خصمه..

الشحاذا: - قتله ولم يهزمه. إنه أبله البلهاء..

القيصر (مجهداً): - كان عدواً قوياً. صدقني!
الشحاذ: - ثمة رجل يكس الحجارة فوق نباتات الأرز إنه عدوي. لقد أصبح مشهوراً لأن يده قوية. لكنه مات بالسرطان. وعندما أغلقوا النعش، أطبقوا الغطاء على يده الممدودة إلى خارج النعش ولم يلاحظوا حين حملوا النعش أن يده تتدلى فارغة مستسلمة عارية..

القيصر: - ألا تضجر أبداً من جلوسك هكذا؟
الشحاذ: - في الماضي كانت السحب تتدافع نحو أسفل السماء باستمرار. كنت أراقبها ولم يتوقف تدافعها..
القيصر: - الآن ليس ثمة غيمة واحدة تسير في السماء، أنت تهرف بما لا تعرف! المسألة واضحة كالشمس.
الشحاذ: - لا وجود للشمس!
القيصر: - أنت رجل خطر جداً مصاب بجنون الاضطهاد. أنت مجنون!

الشحاذ: - كان كلباً طيباً. لم يكن كسائر الكلاب. كان يحضر لي حتى اللحوم، وفي الليل كان ينام على صدري. مرة صدرت صيحة كبيرة في المدينة. الجميع كانوا أعدائي، لأنني لم أعط أحداً منهم أي شيء جدير بأن يتحدثوا عنه. حتى الجنود تواكبوا نحوي. لكن الكلب طاردهم وأطار النوم من عيونهم.

القيصر: - لماذا تخبرني بذلك؟

الشحاذ: - لأنني أعتبرك غيباً!

القيصر: - وماذا أيضاً؟!

الشحاذ: - صوتك ضعيف، إذن أنت خائف. تسأل كثيراً، إذن أنت وضيع ذليل. تبحث عن أخطائي لتلتقطها، إذن أنت لست متأكداً من كل ما يخصك. أنت لا تصدقني ومع ذلك تستمع إلي، إذن أنت إنسان ضعيف، وأخيراً أنت تعتقد أن العالم

بأسره يدور حولك بينما يوجد العديد ممن هم أكثر أهمية منك،
مثلاً أنا. إضافة إلى أنك أعمى، أخرس، وجاهل. عيوبك
الأخرى لم أتعرف عليها بعد..

القيصر: - ألا ترى عندي فضيلة ما؟

الشحاذا: - أنت تتكلم خافضاً صوتك، إذن أنت قانع خاضع. أنت
تسأل كثيراً، إذن أنت شغوف بالمعرفة. أنت تفحص كل
شيء، إذن أنت شكاك. أنت تصغي للأكاذيب الموهومة، إذن
أنت متسامح. أنت تعتقد أن كل شيء يدور حولك، إذن أنت
لست أسوأ من الآخرين واعتقاداتك ليست أقل غباوة. إضافة
إلى ذلك، أنت لست مبلبلاً بالأمور الكثيرة التي تراها. وإذا
امتنعت عن الاهتمام بالأمور التي لا علاقة لك بها، تتحرر
معرفتك ولا تبقى مكتوفة اليدين. أما فضائلك الأخرى فتعرفها
خيراً مني..

القيصر: - أنت ظريف خفيف الروح!

الشحاذا: - كل تملق له جزاؤه. لكنني لن أدفع لك الآن جزاء أجري.

القيصر: - أنا أرد الجميل لكل الخدمات التي قد تقدمها..

الشحاذا: - هذا مفهوم! نفسك الحقيرة تتوقع الاستحسان!

القيصر: - أنا لا ألومك! هل هذا أيضاً أمر حقير؟

الشحاذا: - نعم! لأنك لا تستطيع أن تمسني بسوء.

القيصر: - بل أستطيع أن أرميك في غياهب السجن.

الشحاذا: - هل الطقس بارد هناك؟

القيصر: - لن تشرق الشمس عليك هناك..

الشحاذا: - لا وجود لأي شمس. لديك حقاً ذاكرة سيئة..

القيصر: - أستطيع أيضاً أن أقتلك!

الشحاذا: - عندئذ لن تمطر السماء على رأسي، الحشرات القذرة

ستتفرق في سبيلها، وستهدأ معدتي، وسيخيم الهدوء الكبير

الذي سأتمكن عندئذ من التمتع بسكينته.

(عابر يأتي ويتكلم هامساً مع القيصر).

القيصر: - أقولها لك، لم يعد أمامك من الوقت إلا القليل (يهم بالمغادرة) لن أبادلك بالمثل! سأفكر بما ينبغي فعله..

الشحاذ: - لا تخبر أحداً بذلك. وإلا سحب أحدهم لك مفتاحاً يرى من خلاله كيف تصير أفعالك..

القيصر: - لم أجد شخصاً يحتقرني.

الشحاذ: - أمامي ينحني الجميع. لكني لا أعيرهم التفاتاً. وحدهم المتطفلون يتعبونني بثرثراتهم وأسئلتهم.

القيصر: - هل أتعبك أنا؟

الشحاذ: - ذلك هو السؤال الأغبي بين ما سألته اليوم. أنت وقح جداً! أنت لا تراعي حرمة الناس. أنت لا تعرف الوحدة، لذا تريد من الغرباء أمثالي أن يصفقوا لك. أنت تعتمد كثيراً على واجبات الإجلال التي ينبغي أن يقدمها لك كل إنسان.

القيصر: - أنا السلطة السائدة على الناس. من هنا يأتي الإجلال! الشحاذ: - اللحم يظن أيضاً أنه سيد الحصان. منقار السنونة يظن أنه القائد الموجه للسنونة وقمة النخلة تظن أنها هي التي تسحب النخلة باتجاه أعالي السماء.

القيصر: - أنت إنسان شرير. سأجعلك تمحق محقاً. وعندما أندم على فعلتي سأقول إنه مصير الغرور الجريح.

الشحاذ: (يسحب صندوق الموسيقى ويبدأ باللعب عليه) (رجل يمر بسرعة أمام الشحاذ وينحني له) الشحاذ (يضع صندوق الموسيقى جانباً): - هذا الرجل كان عنده امرأة سلبته كل ما يملك. في الليل كانت تنحني فوقه لتستل من جيبه النقود. أحياناً كان يستفيق من نومه فيراها مستلقية عليه. كان يظن أنها تحبه إلى حد أنها لا تستطيع أن تتوقف عن تفحصه ليلاً. لذا كان يسامحها على أحابيلها الصغيرة التي كان يكتشفها..

القيصر: - أتعود من جديد؟.. كلامك باطل كله.

الشحاذ: - الآن يمكنك الذهاب، ستصير خسيساً حقيراً!
القيصر: - هذا غير معقول!

الشحاذ: (يعود لتشغيل صندوق الموسيقى من جديد)
القيصر: - هل أمامك الجمهور؟

الشحاذ: - الآن وبسبب هذه الحفنة من الموسيقى سيرى الجمهور
أن السماء أكثر جمالاً وأن الأرض أكثر خصباً وسيطول عمر
أعمارهم وسيغفرون لبعضهم ولجيرانهم بسبب هذه الحفنة
من الأنعام.

القيصر: - قل لي على الأقل، لماذا لا تستطيع أن تحتلني؟ ولماذا
تخبرني هذا القدر من الحكايات؟

الشحاذ (باسترخاء): - لأنك لم تكن وقوراً بما يكفي لتستمع إلى
ثرثرتي التي أحتاجها لكي أنسى كلبي الذي مات..

القيصر: - سأذهب الآن. لقد أفسدت أجمل أيام حياتي. لم يعد
بإمكاني أن أبقى أمامك. الشيء الوحيد الذي تملكه هو جراتك
في مخاطبتي. لذا سأترك كل شيء قائماً بانتظار رجوعي.
(يمشي مغادراً يحرسه الجنود. الأجراس تقرع من جديد)

الشحاذ (يظهر واضحاً أنه أعمي لا يبصر): - أخيراً ها هو يرحل بعيداً
عني، الهواء دافئ جداً، لا شك أن الوقت قد تجاوز الظهيرة،
لن يأتي الغلام في هذا النهار. إنهم يحتفلون في المدينة. ذاك
الغبي ذهب إلى الاحتفال أيضاً. الآن ينبغي أن أفكر بمصير
كلبي من جديد..

كم سعر هذا الحديد؟

(دراما في أربعة مشاهد)

الشخصيات :

- سفندسون
- الزبون
- بائع التبنك
- بائعة الأحذية
- الرجل
- السيدة

افتتاحية:

أحبتني ذوي الصداقة الغالية
أمثولتي هذي القصيرة التالية
تحكي لكم عن رجل انكليركاني داهية
تدحرج الداعي عن الأكوام البالية..
حكايتي تجري في حانة قرب «الأولديك»..
بين تلميذين من بلد السويد
حيث جرى الحديث في «البوليتيك»..
على رغم أنخاب البراندي التي لا تعد..
ما كان للاتفاق حظ من أحد..
هكذا كتب الانكليركاني لكم في اليوم التالي
عن رأيه في الوضع الحالي..
في أمثلة قصيرة أدناه.
نقدم لكم ما نحياه..
أحداثاً كانت عند بيّاع الحديد

ذات مغزى ليس عنكم ببعيد .
بائع التنباك وامرأة الأحذية
تدرك رمزهما حتى الديكة المستعمية .
ثمة زبون يشتري الحديد ..
ستعرفونه في آخر الفصل العتيد ..
أمثولة يدركها الإنسان
مهما شخَّ عنده الوجدان
فلنبداً الآن ..
بما يكون ..
وما قد كان ..

I

(متجر الحديد . طاولة خشبية وباب خشبي . على الطاولة تتكدر
قضببان الحديد التي يلمعها تاجر الحديد سفندسون بخرقة بين
يديه . على الجدار روزنامة ضخمة تشير إلى سنة 1938 يدخل بائع
التنباك حاملاً صندوقاً من السيجار) .

بائع التنباك : - صباح الخير سيد سفندسون . أتريد تبغاً؟ سيجار
فاخر، الواحد بثلاثين ليرة نمساوية أصيلة .

سفندسون : - صباح الخير أيها السيد النمساوي . دعني أراه .
رائحته جيدة . أنت تعلم كم أدخن سيجارك بمحبة واستمتاع .
للأسف لا يشتغل المحل كما ينبغي . هذا يعني أن علي أن
أقلل من التدخين . لا ، لا أستطيع اليوم أن أقبلها . لست في
حالة تسمح بذلك . من غير مؤاخذه حضرة السيد النمساوي .
ربما في المرة القادمة .

بائع التنباك : - هذا ما يخيب أمني . لكنني طبعاً أفهم وضعك . (يعيد
السيجار إلى الصندوق) .

سفندسون : - حضرة السيد النمساوي ، هل كانت جولتك مريحة؟

بائع التنباك: - ليس تماماً سيد سفندسون. للأسف إن الوصول إلى هذا الدكان ما زال صعباً.

سفندسون: - ماذا؟ دكاني بعيد؟ هذا ما أسمعه لأول مرة..
بائع التنباك: - نعم، حتى الآن لم يحدث أن واجهتني مثل هذه المسافة. نحن جميعاً نسكن في أماكن متقاربة. لكنني اليوم في طريقي إليك، التقيت رجلاً ترك عندي انطباعاً غريباً.
سفندسون: - هل صدمك بكتفيه؟

بائع التنباك: - لا، بل على العكس. لقد حادثني مثل صديق قديم. بالأحرى ناداني باسمي الصغير وأوضح لي أن قرابة ما تجمعنا. قرابة لم أعرف عنها شيئاً، أقولها لك.. ثم أوضح لي بدقة متناهية كم تجمعنا قرابة الدم. وكلما أطل في كلامه، أصبحت قرابتنا أكبر.

سفندسون: - هل ذلك أمر سييء؟
بائع التنباك: - لا، لكنه قال إنه يرغب بالمجيء لزيارتي.
سفندسون: - تقول ذلك كما لو أن في كلامه نوعاً من التهديد؟
بائع التنباك: - أتعرف، كلماته كانت مألوفة تماماً، لقد قال إنه ربما ارتكب خطأ ما وذلك ناتج عن خطيئة عائلية هائلة. وعندما يكتشف أن قرابة تجمعته مع شخص ما، يجد أنه لم يعد ممكناً أبداً أن يعيش بعيداً عنه..

سفندسون: - كلام ليس بالقبيح..
بائع التنباك: - كلا، لكنه زمجر متوعداً عندما قال ذلك.
سفندسون: - وهذا ما أخافك؟

بائع التنباك: - بصراحة، أعترف أنه أخافني كثيراً.
سفندسون: - حقاً جسمك كله يرتجف يا رجل..
بائع التنباك: - لأنه يشلّ كل تفكيري..

سفندسون: - أعصاب! يجب عليك أن تعيش هنا وأن تتنفس الهواء العليل..

بائع التنباك: - ربما! الأمر الجيد الوحيد أنه لم يكن مسلحاً وإلا
لكنت أصبحت قلقاً حقاً. والآن، فليحمل كل امرئ أثقاله
لوحده، لأنه لا أحد قادر على مساعدتي.

سفندسون: - كلا.

بائع التنباك: - العجيب الذي أثارني أيضاً أنه قبل أن يغادرني
اقترح أن يقيم حلفاً معي، ينص على أنه ممنوع عليه وممنوع
علي التفوه بكلام مسيء للآخر..

سفندسون: - لكن ذلك يبدو عادلاً حقاً. تلك فعلاً معاملة بالمثل.

بائع التنباك: - حقاً؟ أعتقد ذلك؟ (فترة صمت).

بائع التنباك: ربما ينبغي الحصول على أي نوع من السلاح.

سفندسون: - فعلاً. فلن يتأذى أحد..

بائع التنباك: - للأسف السلاح غالي الثمن.

سفندسون: - هو كذلك!

بائع التنباك: - نعم، إذن إلى اللقاء سيد سفندسون.

سفندسون: - إلى اللقاء حضرة السيد النمساوي.

(يغادر بائع التنباك. يقف سفندسون ويمارس التمارين السويدية
ممسكاً بقضبان الحديد على أنغام موسيقى رتيبة مملة. يدخل
الزبون. رجل يرتدي معطفاً لا يناسب حجمه).

الزبون (بصوت حاد): - كم سعر هذا الحديد؟

سفندسون: - ليرة واحدة للقضيب.

الزبون: - باهظ!

سفندسون: - يجب أن أعيش أيضاً.

الزبون: - هكذا!

سفندسون: - وجهك ليس غريباً عني.

الزبون: - كنت تعرف أخي.. جاء مراراً إليك.

سفندسون: - كيف حاله؟

الزبون: - لقد مات وورثت عنه المهنة.
سفندسون: - يؤسفني أن أسمع ذلك.
الزبون: - (مهرداً): حقاً؟
سفندسون: - طبعاً ليس بسبب أنك حصلت الآن على المهنة وإنما أقصد أنه قد مات.
الزبون: - يبدو أنك كنت صديقاً ودوداً له.
سفندسون: - ليس كثيراً. كان مع ذلك زبوناً جيداً.
الزبون: - والآن أنا زبونك!
سفندسون: - سأقوم بالواجب. أتريد أيضاً قضيبين مثل أخيك؟
الزبون: - أربعة؟
سفندسون: - كلفتها أربع ليرات.
الزبون: - (يخرج من جيبه قطعاً من النقود متردداً): إنها ملطخة قليلاً.
لطخ من القهوة وقعت عليها. أيزعجك ذلك؟
سفندسون: - (متفحصاً قطع النقود): - إنها ليست لطخ قهوة.
الزبون: - ما هي إذن؟
سفندسون: - إنها لطخ حمراء.
الزبون: - لا بد أنها آثار دماء. (صمت) لقد جرحت إصبعي. (صمت)
أتريد هذه القطع أم لا؟
سفندسون: - لا أعتقد أنني سأواجه صعوبات في تصريفها.
الزبون: - كلا. حتماً لا..
سفندسون: - إذن على ما يرام. (يرمي القطع في صندوق المتجر، بينما يحمل الزبون قضبانته تحت إبطه).
سفندسون: - (بصوت منخفض): - تذكرت أمراً. قبل قليل تحدثت وبائع تنباك أعرفه منذ زمن بعيد، أقسم لي أنه أثناء مجيئه إلى هنا أعترضه غريباً وأزعجه. هل قابلت أحداً أزعجك؟
الزبون: - كلا. لم يزعجني أحد. ولم يتكلم معي أحد.. وهو أمر يثير استغرابي. صديقك يبدو كاذباً من النوع السيئ

سفندسون: - (وقد ثارت حفيظته): - ينبغي عليك ألاّ تتفوه بمثل هذا الكلام.

الزبون: - العالم مزدحم بالكذابين واللصوص والقتلة.
سفندسون: - هذا ليس ما أراه، صديقي كان يبدو محقاً في قلقه.
لقد عاتبت نفسي لأنني لم أسلمه قضيباً من الحديد، حتى يتمكن عند الضرورة من الدفاع عن نفسه.

الزبون: - لا أنصحك بذلك. سيؤدي ذلك بلا شك إلى سفك الدماء عندما تسلح كل الناس بلا مقابل. أقولها لك إنهم لصوص. قتلة وكذابون. من الأفضل لك، صدقني، أن تتجنبهم. وبدلاً من أن تتخبط في النزاعات، عليك أن تبيع حديدك بسلام. لا تسلم سلاحاً إلى أيدي أمثال هؤلاء! إنهم جائعون فقراء! وعندما يكون السلاح في يد غلام جائع...

سفندسون: - أفهم ذلك...

الزبون: - وبالمناسبة، ألسنا أقرباء؟
سفندسون: - (مدهوشاً) نحن؟ كيف ذلك؟
الزبون: - أعتقد عبر جدنا الأكبر الأول مثلاً..
سفندسون: بل أعتقد أنك على خطأ واضح..
الزبون: - حسناً. إذن فلأذهب. جيد حديدك هذا. يجب أن أحصل عليه، لكنه ليس رخيصاً. لكن ما العمل طالما ينبغي الحصول عليه، ألا يمكن أن يكون أرخص قليلاً؟
سفندسون: - لا أعتقد ذلك..

(يتجه الزبون نحو الباب، تسمع بوضوح قرقرة معدته)...

سفندسون: - أتقول شيئاً؟
الزبون: - أنا؟ كلا. إنها معدتي التي تفرقر.. لقد أدمنت أكل اللحم. والآن أهضمها..
سفندسون: - أه! هكذا. والآن إلى اللقاء.. (يغادر الزبون).

سفندسون: - (يتصل بالهاتف): - أهذا أنت يا دانسن؟ إسمع، كان عندي الزبون الجديد. - هكذا، كان عندك أيضاً. لقد اشترى مني. - هكذا، اشترى من عندك أيضاً. حسناً طالما أنه يدفع فلا غبار عليه. - طبعاً، لا غبار عليه طالما أنه يدفع لك أيضاً. (يخيم الظلام).

II

(الروزنامة في متجر الحديد تشير إلى العام 1939. تدخل إلى المتجر بائعة الأحذية. تحت إبطها كيس من الأحذية).

بائعة الأحذية: - صباح الخير سيد سفندسون. أتريد أحذية؟ (تظهر زوجين أصفرين من الأحذية) - جميلة، متينة. عشر ليرات للحذاء. صناعة تشيكية أصيلة.

سفندسون: - صباح الخير سيدة تشيك. تعرفين كم أنا مسرور بزيارتك. محلي لا يدر ما لا كثيراً كما كنت أتوقع، لذا لا أرغب الآن أن أشتري أحذية جديدة لكنني سأسجل طلباً لك عندي. لكنك قلما تبدين مرتاحة يا سيدة تشيك؟

بائعة الأحذية (تبدو خائفة وجلة من وقت لآخر): - لا تتعجب. ألم تسمع بالقصة المزعجة التي حدثت لبائع التنباك؟ سفندسون: - أية قصة؟

بائعة الأحذية: - لقد جرى الاعتداء على بائع التنباك، الأغلب أنه نمساوي. لقد قتل وسُرق.

سفندسون: - ماذا تقولين؟ هذا مرعب حقاً!

بائعة الأحذية: - الناس حوله يقولون ذلك أيضاً. يريدون الآن الإتصال بالبوليس. الكل يجب أن يتدخل. أنت أيضاً يا سيد سفندسون.

سفندسون: - (شاعراً بالارتباك): - أنا؟ لكن هذا غير معقول. أنا لست مؤهلاً لتقديم الخدمات للبوليس يا سيدة تشيك. أنا مسالم

جداً. متجر الحديد لا يسمح لي بالوقت الكافي. أريد أن أبيع حديدي بسلام وبانتظام.

بائعة الأحذية: - الرجل الذي هاجم بائع التبناك كان مدججاً بالسلاح. أنا أيضاً أريد سلاحاً، فأنا خائفة حقاً. أعطني قضيباً من الحديد سيد سفندسون.

سفندسون: - بكل سرور! قضيب من الحديد يساوي ليرة واحدة. بائعة الأحذية (تبحث في محفظة نقودها): - تلك تساوي ليرة، إليك بها.

سفندسون: - يداك ترتجفان يا سيدة تشيك. بائعة الأحذية: - في طريقي إليك تكلم معي رجل في الطريق وعرض علي حمايته. وهذا ما أثار خوفي.. سفندسون: - لماذا؟

بائعة الأحذية: - أتعلم، بين من أعرفهم ليس عندي عدو واحد. وحده الرجل لم أكن أعرفه. لقد أراد المجيء إلى منزلي من أجل أن يحميني، كما قال. هذا مرعب. قل لي: ألا تشعر أنك مهدد؟

سفندسون: - أنا؟ كلا. معي يجب أن يتعامل الجميع بمودة لأن الجميع يحتاجون لحديدي في هذه الأوقات الصعبة كما تعلمين.

بائعة الأحذية: - نعم أنت خارج دائرة الخطر. إلى اللقاء سيد سفندسون (تخرج).

سفندسون (يناديها): - إلى اللقاء سيدة تشيك! استعيني بالقضيب!.

(يقف ويبدأ في ممارسة التمارين السويدية على أنغام الموسيقى الرتيبة نفسها. يدخل الزبون وقد أخفى شيئاً تحت معطفه).

الزبون: - كم سعر هذا الحديد؟

سفندسون: - ليرة واحدة للقضيب.

الزبون: - ألم يتدنّ السعر بعد.. أعطني..

سفندسون: - أربعة قضبان من حديد؟

الزبون: - لا. ثمانية.

سفندسون: - هذا يساوي ثماني ليرات.

الزبون (بتؤدة) - أريد أن أقدم لك اقتراحاً. نظراً للقرابة البعيدة التي تجمعنا.

سفندسون: - ليس في علمي.. الأحسن..

الزبون: - أقترح عليك أن تمضي من الآن قدماً بتجربة جديدة،

تجربة مبادلة: بضائع مقابل بضائع. أنا مقتنع أنك تدخن

السيجار. إذن إليك بهذا السيجار.

(يسحب من تحت معطفه علبة من السيجار الكبير)

أستطيع أن أعطيك إياها بثمان زهيد، ذلك أنها لم تكلفني

شيئاً. ورثتها عن أحد أقربائي. وأنا لا أدخن.

سفندسون: - أنت لا تدخن. أنت لا تأكل. أنت لا تدخن. وهذا

السيجار من النوع النمساوي...

الزبون: - السيجار بعشرة قروش. هذا يعني عشر ليرات لعلبة فيها

مئة سيجار. ولكنني سأتركها لك بسعر ثماني ليرات، كلفة هذا

الحديد. هل تقبل؟

سفندسون: - لقد كنت أعرف بائع التنباك. كيف توفي؟

الزبون: - بسلام تام يا رجل، بسلام تام. بسكينة وسلام، يا له من

رجل مسالم.. لقد ناداني فجأة!.. جرى كل شيء بسرعة. لقد

قال فقط: أخي لا تترك التبغ يغدو جافاً، ثم أسلم الروح.

الصليب الذي ناولني إياه عندما استقبلني عند الباب، وضعت

عليه فوق القبر (يمسح دموعه عن عينيه. عندها يسقط من جنبه

مسدس على الأرض، فيلتقطه، ويخبئه بسرعة) لقد جاء إلى عالم

سييء. عالم يسيء فيه المرء الظن بالآخر. عالم من الجريمة

وانعدام الأمن في الشوارع. أنا أحمل سلاحاً معي في الفترة

الأخيرة. طبعاً ليس محشواً، فقط للدفاع عن النفس! كيف وجدت السيجار؟

سفندسون: - لا أستطيع احتمال السيجار، لو كنت أستطيع شراء شيء كهذا لأشترت أحذية.

الزبون: - ليس عندي أحذية. عندي سيجار وأنا أحتاج لهذا الحديد.

سفندسون: - لماذا تحتاج لمثل هذا العدد الكبير من قضبان الحديد؟

الزبون: - اوه، الحديد يحتاجه المرء دائماً (تصدر عن معدته قرقرة جوفاء من جديد)..

سفندسون: - ربما لعله من الأفضل لك أن تشتري شيئاً تأكله.

الزبون: - هذا يأتي لاحقاً. هذا يأتي لاحقاً. يجب أن أمضي الآن.

أرى أن الطقس ممطر في الخارج، وعندي معطف من

الصوف المشغول باليد الذي ربما أستطيع مقابل الحديد، أن

أقدم لك كيساً من هذا الصوف الرائع.

سفندسون: - حسناً.. سأخذ سيجارك. متجري لا يشغل كما يجب (ياخذ العلبة).

الزبون: - (يضحك باستهزاء ويتناول ثمانية قضبان من الحديد) - إلى اللقاء سيد سفندسون.

سفندسون (يتصل بالهاتف مدخناً سيجاراً بتلذذ) - أهذا أنت يا

دانسن؟ ماذا تقول في الأحداث الأخيرة؟ - نعم، هذا ما أقوله

أنا أيضاً. أنا لن أقول شيئاً - آها، أنت تبعد عنك كل شبهة،

نعم، أنا سأبعد عني كل شبهة - هكذا، أنت ما زلت تبيعه

أيضاً؟ نعم، وأنا ما زلت أبيعها أيضاً - هكذا، أنت لست قلقاً؟

وأنا لست قلقاً.

(يخيم الظلام).

III

(في متجر الحديد تشير الروزنامة إلى شهر شباط من عام 1939،
يجلس سفندسون مدخناً سيجاراً نمساوياً. تدخل سيدة ورجل).

الرجل: - عزيزي السيد سفندسون، السيدة غال وأنا أردنا أن
نستشيرك استشارة صغيرة. إذا تمكنت من توفير الوقت لنا.

سفندسون: - يمكنك أن تقتنع بأنني في كل وقت أضع نفسي في
خدمة زبائني. (يجلس الرجل والسيدة).

الرجل: - المسألة تتعلق بالاعتداء الآثم على السيدة تشيك.

سفندسون: - اعتداء على السيدة تشيك؟

الرجل: - البارحة مساء اعتدي على جارتنا السيدة تشيك من قبل
مسلح مدجج بالسلاح. لقد قتلت وسرقت.

سفندسون: - ماذا؟ السيدة تشيك قتلت؟ كيف أمكن أن يحدث ذلك؟

الرجل: - نعم، كيف؟ نحن أيضاً خرجنا عن أطوارنا ولم نستطع أبداً
أن نستوعب ذلك، خصوصاً السيدة غال التي كانت صديقة

قريبة لها. مساء البارحة صدرت فجأة صرخة استغاثة من

منزل السيدة تشيك. السيدة غال جاءت فوراً مهرولة نحوي.

وتداولنا لساعات فيما يمكن أن يكون قد حصل للسيدة تشيك.

ثم انتقلنا إلى بيتها ووجدناها حقاً في نزاع سافر مع ذلك

المدعو. كان يطالبها بشيء ما، يبدو أنه ملك لأحد أقربائه،

ونصحناها أن تتخلى له عن ذلك الشيء، إذا ما وعدنا بأن

يتركها في المستقبل بهدوء. كان متفاهماً معنا ووعدنا. لكن

في وقت متأخر من الليلة نفسها يبدو أنه قد عاد فجأة واغتال

المسكينة بكل بساطة.

السيدة: - لم نكن لنغادرها لو لم نثق بوعوده.

الرجل: - المسألة تتعلق الآن بجمع الجيران كلهم في تجمع يهتم

بأن لا يتكرر مثل هذا الأمر من جديد. وأنت أيضاً نسألك هنا

ما إذا كنت مستعداً للانضمام إلى هذا التجمع الذي يسعى لإعادة الأمن والنظام وما إذا كنت تقبل بإدراج اسمك في اللائحة.. (يسلمه لائحة).

سفندسون (يتناولها متردداً، وبتوتر): - نعم، لكنني لست إلا تاجر حديد صغيراً، ولا أستطيع أن أتدخل في صراع الشركات الكبرى. مساهمة مني في مثل هذا التجمع من شأنها أن تثير بعض زبائني.

السيدة: - أتريد أن تبيع حديدك بأي ثمن؟ لمن تبيع دائماً؟ سفندسون: - أبداً كيف تقولين ذلك! عندي ضمير مثلاً عندك. لكنني لست صاحب قلب محارب كما تعلمين. لا أفكر بمتجري أبداً فلننتكلم بقليل من الارتياح. (نحو الرجل): - أتدخن؟!

الرجل (متاملاً السيجار): - من النوع النمساوي!

السيدة: - أكون شاكرة للسيد إذا لم يدخنا.

سفندسون (مغتاظاً يضع السيجار في العلبه): - عذراً سيدتي!

الرجل: - كنتم تتكلمون عن ضميركم سيد سفندسون.

سفندسون: - حقاً؟ نعم، طبعاً. أستطيع أن أقولها لك.. أعمال العنف تؤلمني في العمق. لم أعد أناام منذ الأحداث الأخيرة ولا لليلة واحدة. في الواقع أنا أدخن كثيراً الآن فقط من أجل تهدئة أعصابي يا سيدتي!

السيدة: - إذن أنت لا تدعم بقوة فكرة تجمع ضد استعمال القوة! سفندسون: - بقوة أو ليس بقوة! على كل حال تصرفي ليس هو الأمثل.

الرجل: - لقد اقتنعنا بوجهة نظرك، لكن حتماً أنت لن تبيع ذلك المدعو شيئاً ما، فأنت طبعاً لا تتعاطف وسلوكه..

سفندسون: - على الإطلاق. بل أدين ذلك.

الرجل: - وأنت لست على قرابة معه، كما يظن هو.

سفندسون: - كلاً وألف كلاً.

الرجل: - وأنت تبيع فقط لمن يدفع وبما أنه يدفع.

سفندسون: - هو ذلك..

الرجل: - وأنت تعتقد أن ذلك المدعو لن يعود محتاجاً لحديدك إذا انضمت إلى تجمع السلام هذا والمدعو ضمن الأمان لك ولسواك من التجار.

سفندسون: - طبعاً هو يحتاج لحديدي. صدقاً لست أعلم ما الذي يصنعه من بضاعتي.

السيدة (باهتياج): - بنادق ومسدسات!

سفندسون (يغضي بابتسامة سريعة مأكرة): - كما قلت لا علم لي بذلك، حتى لو كان الأمر صحيحاً ينبغي أن أبيعته. والآن، كما قلت أيها السيد، ربما ثارت حفيظته، وأنا مطلوب مني أن أبقى مسالماً، بصراحة أنا أنتظر قدومه الآن، وقد يكون من الأفضل أن لا تلتقيا به في متجري، إنه شديد الحساسية، ويمكن إثارته بسهولة اصنعنا لي معروفاً و...
(يدخل الزبون حاملاً علبة أحذية تحت إبطه).

الزبون: - كم سعر هذا الحديد؟

سفندسون: - ليرة للقضيب.

الزبون: - يبدو أن عندك جماعة، هل هم أصدقاء لك يا سيد سفندسون؟

سفندسون: - نعم، لا. بعض الشيء. زيارة عمل.

الرجل: نحن نتحدث عن اغتيال السيدة تشيك الذي نفذته يا سيد الزبون: - أنا نفذته؟

السيدة: - نعم!

الزبون: - كذب! تحريض! تجريح!

الرجل: ماذا؟ أتذكر اغتيالك للسيدة تشيك؟

الزبون: - أتعجب من إنكاري؟ السيدة تشيك التي تربطني بها قرابة قوية، والتي جئتم إليها ونصحتموني عندها، توسلت

إليّ أن أقبل بحمايتها، وبسبب التوسلات المستعطفة
لقريبتى تراجعت عن موقفى وقدمت بالأمس الحماية لها. لقد
كانت فرحتها الأخيرة فى هذه الدنيا. بعد ذلك بقليل رحلت
بسلام على ذراعى متأثرة بمرض ضعف الشيخوخة. تلك هى
الحقيقة. من تلك الحادثة صنعتم أنتم والآخرين قصة
الاغتيال. لقد أسلمت السيدة تشيك لى روحها خوفاً منكم
أنتم. لقد تخليتم عنها! ولسوف تتخلون عن جميع أصدقائها.
عزيزى سفندسون، هذا ما يجب أن تفكر به..
السيدة: - هكذا إذن. كنت فقط تقوم برعايتها...
الزبون: - ولماذا أقترف بحقها الأذى؟ (معدته تقرقر)
الرجل: - وأنت تريد أن تنكر أنك كنت تهدد كل إنسان يسكن قريباً
منك؟

الزبون: - لقد جئت إلى هنا يا سيد سفندسون من أجل أن أشتري
سنة عشر قضيباً، لكننى أرى أن مناخاً عدائياً يسود هنا،
طبيعى أنك لن تستطيع أن تتقبل رجلاً يشتري الحديد يقف
أمامك مهذباً. لذا أسألك سؤالاً واحداً. فكر فى الإجابة
جيداً. هل تشعر أننى أهددك؟
سفندسون: - أنا؟ لماذا تسألنى؟ كم من القضبان تريد؟ أتريد حقاً
جواباً على ذلك؟

الرجل والسيدة والزبون (معاً): - نعم!
سفندسون (يلف قضبان الحديد بالورق): - عندئذ سأقولها لكم. كلا.
لا أشعر أننى مهدد..
(يغادر الرجل والسيدة المكان غاضبين).

الزبون (بينما سفندسون يقدم له قضبان الحديد): - برافو! تلك على
الأقل جرأة واضحة، سفندسون، لا شك أن قرابة ما تجمعنا
ولو أنكرتها. المرء ينكر الكثير. إلى ذلك، ألا نستطيع نحن
الاثنين، بحبنا الراسخ للسلام، أن نقيم حلفاً صغيراً، بعدما

بقضبان الحديد وغيرها، تجاوزت اعتبارات الآخرين من أجلي
وبعدما تجاوزت اعتبارات الآخرين من أجلك.
سفندسون (بصوت منخفض): - ذلك ما لا أرغب به... زبوني الكبير
العزیز..

الزبون: - ولكن ينبغي الحصول على مزيد من الحديد، سفندسون،
هناك من يخطط للنيل مني، إنهم يريدون النيل مني، جميعهم
يريدون الإعتداء علي (معدته تقرقر من جديد). اتهموني بأنني
قتلت امرأة عند الزاوية. كذب! كذب! كذب! أو تعلم ماذا
وجدت معها؟ قضيباً من الحديد! أرادت أن تنال مني! معك
حق في الابتعاد عن هذه النزاعات العفنة. سفندسون، أنت
بائع حديد ولست سياسياً. أنت تبيع حديدك لمن يدفع. وأنا
اشتريه منك لأنك تعجبني ولأنني أرى أنك تعيش من هذه
المهنة، ولأنك لست ضدي ولا تقبل التحريض ضدي، لذا
أشتري حديدك. لماذا ينبغي شراء الحديد لولا ذلك؟ عليك ألا
تعادينني.. لقد كنت ترغب مؤخراً ببعض الأحذية.. إليك بها
(يخرج له من العلبة حذاءين أصفرين جديدين) تماماً مثلما
تحتاج، سفندسون سأبيعها لك بثمان رخيصة. أتعلم كم كلفتني؟
سفندسون (بإعياء): - كم؟

الزبون: - لا شيء! أترى، يمكنك أن تستفيد، نعم بإمكاننا أن نصير
أحسن صديقين، خصوصاً عندما نتفق اتفاقاً كلياً على أسعار
الحديد. هذا ما يجب أن يحصل! هذا ما يجب أن يحصل!
ساعدني على حمل قضبان الحديد.
(سفندسون يساعد الزبون على حمل القضبان، يحمل الزبون ستة
قضبان بكل يد ويضع الباقي على أكتافه ويمضي).
سفندسون: - إلى اللقاء.
الزبون (يلتفت عند الباب مبتسماً): - قريباً!

(في متجر الحديد) تشير الروزنامة إلى العام 19٩٩

(سفندسون يتمشى في المتجر. يدخل سيجاراً نمساوياً وينتعل الحذاءين التشيكيين. فجأة يبدأ قصف المدافع.. يحاول سفندسون عبثاً، وبارتباك واضح، أن يتصل هاتفياً. لا يوجد خط هاتف. يفتح الراديو. لا يوجد محطات تتكلم، ينظر من النافذة، فتعلو ألسنة النيران) ..

سفندسون: - إنها الحرب!

(يسرع ملهوفاً إلى لائحة الأسعار. يمحو بممحاة الرقم ثلاث ليرات ويكتب بسرعة الرقم أربع ليرات. يدخل الزبون، يدها مختبئتان تحت المعطف).

سفندسون (مصغياً): - أتعلم من أين يأتي هدير المدافع؟ الزبون: - إنه يأتي من قرقرة معدتي. أتعلم، سأذهب الآن بحثاً عن طعام لكن من أجل ذلك أحتاج لمزيد من الحديد. (يرمي معطفه جانباً فتظهر المسدسات على جنبه).

سفندسون: - النجدة! النجدة!

الزبون: - كم سعر هذا الحديد؟

سفندسون (منهراً): - لا شيء!

(تنسد الستارة..)

إنه
يطارد
الشيطان..

(كوميديا في
ثمانية مشاهد)

الشخصيات:

- الفتاة
- الفتى
- الأم
- الأب
- القسيس
- الحارس الليلي
- المعلم
- رئيس البلدية
- فلاحون

(منزل ريفي من طبقة واحدة مع قبو كبير من الطوب الأحمر. أمام المنزل مقعد خشبي طويل. الوقت مساءً من شهر آب).

-1-

(الفتى والفتاة جالسان على المقعد الخشبي)

الفتى: - مساء جميل!
الفتاة: - في مقهى «الثور الأحمر» ستقام حفلة راقصة اليوم. هل سمعت الموسيقى؟
الفتى: - نعم أسمع مزمارين.
الفتاة: - أُمي لم تسمح لي بالذهاب.
الفتى: - لماذا؟
الفتاة: - تعتقد أنني سأكون في خطر.
الفتى: - نعم، على المرء أن يكون محتاطاً.
الفتاة: - الآن أسمع الموسيقى آتية إلى هنا. إنها الريح.
الفتى: - قد تأتي العاصفة. كان الطقس حاراً اليوم.
الفتاة: - أعتقد أن النجوم ستطلع قريباً علينا. عندئذ يجب أن أذهب إلى الأبقار.

الفتى: - أحوال الأبقار على ما يرام!

الفتاة: - لماذا؟

الفتى: - لأنك ستذهبين إليها!

الفتاة: - ستكون بحاجة لشيء ما.

الفتى: - أنت لا تأتين إليّ!

الفتاة: - لأنني لست مجبرة على ذلك.

الفتى: - بل لأنك لا ترغبين!

الفتاة: - لا أعتقد أن العاصفة ستهب علينا!

الفتى: - ستكونين خارج الفراش.

الفتاة: - سأكون في المطبخ. هناك تصليّ أُمي.

الفتى: - بدلاً من أن تصليّ في الفراش!

الفتاة: - الآن يجب أن أذهب إلى الأبقار.

الفتى: - لا أرى نجمة واحدة حتى الآن.

الفتاة: - ولا أنا أرى.

(صمت)

الفتى: - ماذا يدعى هذا؟

الفتاة: - شيء ما!

الفتى: - أهذا ما يجب عليك قوله؟

الفتاة: - يجب ألا أقول أي شيء.

الفتى: - تقولين ذلك؟

الفتاة: - كلا، إلا إذا كنت غيباً جداً.

الفتى: - عندها سأعاقبك!

الفتاة: - عندها سأضحك منك!

الفتى: (يحاول أن يقبلها) - إذاً، إضحكي الآن!

الفتاة: - لن تستطيع تقبيلي!

الفتى: - تظنين ذلك!

الفتاة: - هل قبلتني؟

الفتى: - تعرفين ذلك أفضل مني!
 الفتاة: - هل صرت أعمى لا يرى؟
 الفتى: - نعم، أخاف أن أصير...
 الفتاة: - أبعد يدك عني. إنها تضايقني.
 الفتى: - إنها يدك.
 الفتاة: - أعني يدك تلك.
 الفتى: - نعم، أهديها إليك.
 الفتاة: - الآن، سأذهب إلى الأبقار.
 الفتى: - أما زلت تحتفظين بقدميك؟
 الفتاة: - وبعدئذ سأذهب إلى الفراش.
 الفتى: - مع قدميك؟
 الفتاة: - ماذا يعني ذلك أيضاً؟
 الفتى: - ماذا؟
 الفتاة: - ذاك الذي تتكلم عنه.
 الفتى: - لم أعد أفكر كثيراً. الآن ستطلع النجوم.
 الفتاة: - هل تذهب أنت إلى الأبقار أيضاً؟
 الفتى: - أظن أنك ألقى القبض عليّ هناك!
 الفتاة: - أظن ذلك؟ أنت تعزف الموسيقى عندما يلقي القبض عليك!
 الفتى: - لم أعد أقدر على ذلك اليوم.
 الفتاة: - لقد أصبحت خارج العزف.
 الفتى: - هل كنت داخله؟
 الفتاة: - لقد خبرته بنفسك!
 الفتى: - لم أعزف شيئاً بعد.
 الفتاة: - أظن أن عزفك قد حصل فعلاً؟
 الفتى: - سأعزف على أوتار أخرى..
 الفتاة: - هذا صحيح. لأن أُمي جاءت الآن.

(تدخل الأم)

- الأم: - سلام على الربّ يا جاكوب!
الفتى: مساء الخير.
الأم: (إلى الفتاة) - هل ذهبتِ إلى الأبقار؟
الفتاة: - ما زال عندي وقت.
الأم: - هذا يعني، لم يعد عندك شيء.
الفتاة: - أوه، لماذا؟ (تقف)
الفتى: - كنا نتحدث للتوّ عن الأبقار.
الأم: - لأنها عزيزة على قلوبكما!
الفتى: - قالت: عليها أن تذهب إلى الأبقار.
الأم: لكنها لم تذهب!
الفتى: - ذلك يحدث دائماً مع الفتاة!
الفتاة: - تبدو صاحب خبرة كبيرة في هذه المسألة.
الفتى: - هذا ما ألاحظ..
الفتاة: - لقد أمضيت نهاري بالعمل.
الفتى: - نعم، هذا صحيح.
الأم: - سيبدأ فوراً موعد الصلاة.
الفتاة: بإمكانني أن أبقى هنا حتى تبدأ الصلاة.
الأم: - بل عليك أن تذهبي فوراً.
الفتى: - الآن، لماذا؟ طالما هنا أجمل.
الأم: - لذا عليها أن تذهب..
الفتاة: لأنني هنا أكون في خطر!
الأم: ما الذي تقولين؟ لا تتكلمي هكذا. أنتِ لا تفهمين شيئاً!
الفتى: - هذا ما يحدث غالباً!
الأم: - اذهبي الآن إلى الأبقار.

الفتاة: - ما زال الوقت باكراً!
الأم: - ما الذي ما زال باكراً؟ لقد خيم الظلام، ولم يعد بالإمكان رؤية الأبقار.

الفتاة: - لم تزل رؤية الشيران ممكنة!
الأم: - ليس لك مثل هذا الكلام. جاكوب، إنها صغيرة ولا تفهم مثل هذه الأمور!

الفتى: - في شيخوختها ستكون كما هي الآن!

الفتاة: - كم أنت ذكي!

صوت الأب: - يا امرأة!

الأم: - إنه يناديني! الآن علينا الذهاب. مساء الخير جاكوب.

الفتى: - مساء الخير. ألا تسمحين لها بالبقاء قليلاً؟

الفتاة: - كلاً، سأذهب الآن.

الفتى: - على الأقل حتى نرى النجوم.

الفتاة: - سأذهب إلى الأبقار. (تمشي مبتعدة).

الفتى: - لماذا لا تبقيين؟

الفتاة: - لأنني لا أرغب. سأذهب الآن.

الفتى: - خوفاً من أن تنالي صفعاً منه؟

الفتاة: - ألا تسمع؟

الفتى: - بلى، أسمع الصفعات.

الفتاة: - تَفُو، يا عيب الشوم.

الفتى: - هذا ما أرغب بفعله معك!

الفتاة: - ليس عندك اتزان.

الفتى: - لكن هذا يعجبك.

الفتاة: - كم تبالغ في تصوراتك!

الفتى: - كم تبالغين في اعتراضاتك!

الفتاة: - على ماذا؟

الفتى: - على عناقنا بعضنا لبعض.

- الفتاة: - حافظ على اتزانك! الآن سأذهب.
- الفتى: - هل تشعرين بالتعب.
- الفتاة: - فلنفترض ذلك.
- الفتى: - إذن سأحملكِ إلى هناك.
- الفتاة: - ستقع على الأرض.
- الفتى: (يحملها) - هل وقعت؟
- الفتاة: - كلاً! لكن اتركني. ماذا لو شاهدونا
- الفتى: - لو تسمحين بقبلة.
- الفتاة: - أمي.
- الفتى: (ينزلها) - أنتِ لا ترغبين.
- الفتاة: - لم يكن جميلاً ما فعلت.
- الفتى: - بلى. كان بإمكانك أن تطبعي قبلة على فمي.
- الفتاة: - لأجل ذلك سأذهب الآن.
- الفتى: - يمكنك الآن أن تذهبي.
- الفتاة: - الآن! وبعدما هدأت أطماعك!
- الفتى: - هل يجب أن أبقى؟
- الفتاة: - لم أقل ذلك.
- الفتى: - الآن يمكننا أن نرى النجوم!
- الفتاة: - الآن سأذهب إلى الأبقار!
- الفتى: - اليوم لن تهب علينا العاصفة!
- الفتاة: - هل يُغضبك ذلك؟
- الفتى: - نعم. في جداركم فجوة.
- الفتاة: - ماذا يعني ذلك أيضاً؟
- الفتى: - لا يعني شيئاً. بالعكس.
- الفتاة: - لكنك تتكلم عن الفجوة...
- الفتى: - لو تهب العاصفة!
- الفتاة: - وماذا سيحدث إذا هبَّت؟

- الفتى: - عندها يمكننا أن نلتقي!
- الفتاة: - أليس ممكناً الآن؟
- الفتى: - ليس ممكناً وأنتِ ترتدين هذا الفستان! ألا تنامين فوق تبين الأبقار؟
- الفتاة: - هل شاهدتني من فجوة الجدار؟
- الفتى: - منذ فترة صرت تنامين في القبو.
- الفتاة: - كيف رأيتني؟
- الفتى: - رأيت أشياء أكثر بشاعة!
- الفتاة: - تخمينات!
- الفتى: - بل أكثر بشاعة!
- الفتاة: - وأنت شاهدتها!
- الفتى: - لست أنتِ البشعة الوحيدة!
- الفتاة: - وأنت الذي كنت تلعب لعبتك فوق!
- الفتى: - نعم كنت أَلعب لعبتي. لكن فقط عندما تستلقين جيداً!
- الفتاة: - تَفُؤ، أنت فاحش بذيء.
- الأب: (ينادي من البيت) - أنا. (ترتجف الفتاة)
- الفتى: (يمسك بجسدها. يسترقان السمع)
- الفتاة: - اتركني. إنني أرتجف.
- الفتى: - بل يمكنك أن ترتجفي من جديد.
- الفتاة: - الآن يجب أن أذهب. لم يعد عندي ما أقول.
- الفتى: - لو تلتفتين برأسكِ هناك. ألا ترين النجوم؟
- الفتاة: - إنهم بالتأكيد يشاهدوننا.
- الفتى: - العتمة شديدة هنا.
- الفتاة: - يداكِ. أبعدهما عني.
- الفتى: - أيهما؟
- الفتاة: - تلك وتلك. كلا، هذا غير ممكن!
- الفتى: - بل ممكن!

الفتاة: - كلاً، يجب أن أذهب الآن.
الفتى: - كم جسمك ناعم الملمس.
الفتاة: - أنت تؤلمني.
الفتى: - كم أنت دافئة.
الفتاة: - ويداك باردتان!
الفتى: - اجعليهما دافئتين!
الفتاة: - إنتباه! (يبتدان بعضهما عن بعض)
الفتى: (يتوارى خلف المنزل)

-3-

(يدخل الأب:)

الأب: - ما الذي يجري معك يا أنا؟
الفتاة: - أهذا أنت يا أبي؟
الأب: - ما الذي تفعلينه هنا؟
الفتاة: - لا شيء. أجلس قليلاً هنا.
الأب: - هكذا. تجلسين قليلاً هنا.
الفتاة: - نعم، إنني مرهقة.
الأب: - ووحيدة تماماً؟!
الفتاة: - نعم. إلينا لا يأتي أحد.
الأب: - هكذا. لا يأتي أحد.
الفتاة: - يجب أن أذهب إلى الأبقار.
الأب: - باسم الرب، الآن يجب أن تذهبي إلى الأبقار (يضربها)
سأعلمك كيف تتجولين في الليل مع الفتيان وتلطخين سمعتك
في الوحل.
الفتاة: (تبكي).
الأب: (خلفها) - سيرى أمامي.

الفتى: (مختبئاً) - الآن نالتها. الآن وقع المحذور. (أجراس الصلاة)
الآن سيأتي الآخرون (يتوارى).

-4-

(أضواء الشموع في المطبخ:

الأم: (تلقى برأسها على النافذة باتجاه الخارج) - إنه لمساء جميل.
قمح بوزوالد يفوح في كل مكان. الريح حلوة ناعمة. (تراجع
إلى الخلف). هكذا نهار ليس سهلاً أن يمضي. جسدي ينبض
بالحياة (يختفي رأسها. يتلاشى الضوء. لوحة مريم العذراء تبقى
مضيئة في القبو).

-5-

(يدخل الفتى حاملاً قنديلاً يتسلل بهدوء إلى الداخل:)

الفتى: - لا ضوء بعد الآن. إنني أواسيك يا أنا. لكم بدوت جميلة
وأنت تبكين. الضرب يمنحك النشاط. والحق كله مع الآباء
(يضع القنديل على حافة الجدار غير المرئي من البيت. ويصعد
إليها).

صوت الفتاة: - أنت! ما القضية؟ باسم الرب! ماذا لو شاهدوك؟!

صوت الفتى: - افتحي الشباك على مصراعيه.

صوت الفتاة: - ليس مسموحاً لك بالدخول!

صوت الفتى: - هل قال والدك هذا؟!

صوت الفتاة: - كم أنت وقح!

صوت الفتى: - والآن لم يعد يرانا أحد!

(هدوء. رياح. صوت اهتزاز الفراش)

(يدخل الأب من يمين باحة المنزل (يتنصت):
الأب: - ملعونة تلك التأوهات! وفي عز منتصف الليل! (يشاهد
النذيل): آها، في صحتكما! (يرمي بالقنديل بعيداً. يرفع هراوة.
يتقدم. يصعد درج القبو. تُسمع ددبات على الدرج وصرخة عالية
ثم ضجة غاضبة).
صوت الأب: - توقف! اللعنة! أبناء الخنازير!

(الفتى والفتاة يغلقان الشباك ويخرجان من فجوة في جدار
القبو):

الفتى: - بست!
الفتاة: - سيقتلني!
الفتى: - اصمتي!
(صمت)
الفتاة: - سيكتشفنا!
الفتى: - إذا لم تهدأي!
(خبطات على الباب).
الفتاة: - سيحطم الباب!
الفتى: - كان يتنصت علينا، يا للشيطان!
الفتاة: - الآن يبحث عنا داخل الغرفة الآن ينزل راجعاً. ما الذي
يفكر به؟
الفتى: - الآن يأوي إلى فراشه من جديد.
الفتاة: - لماذا تجاوبت معك؟

الفتى: - كان بإمكانك أن تبقي هادئة.
الفتاة: - عندها لما حدث شيء، أليس كذلك؟ هل يجب أن أتواري؟
الفتى: - ألا تضجرين إذا أصبحت وحيدة؟
الفتاة: - ماذا لو سألني أين كنت؟
الفتى: - في المرحاض!
الفتاة: - ليتني لم أسمح لك بالدخول!
الفتى: - يكفي الآن. الآن ساءت الأمور. قبل ذلك كان الجو جميلاً.
ليتك لم تتركي قميصك معلقاً في القبو.
الفتاة: - إذن كنت تراقبني من الفجوة!
الفتى: - لا تفكري بالأمر. الآن ينبغي أن أذهب!
الفتاة: - هل تريد أن تغادرني وأنا خائفة.
الفتى: - كلا. هنا يمكننا مراقبة النجوم. (يعانقها) - وبكل هدوء!
(يتبادلان القبل ويصعدان إلى القبو من جديد).

-8-

(يدخل القسيس والحارس الليلي:)

القسيس: - ما الذي شاهدته في هذه الليلة؟
الحارس الليلي: - لا أحد حتى الآن. داخل المنازل لا يمكنني مراقبة الناس.
القسيس: - هذا صحيح. لذا تتدلى على النوافذ ستائر الفواحش!
الحارس الليلي: - نعم، خلفها ينسلون الأطفال أكثر من أي مكان آخر!
القسيس: - إنها ليلة جميلة. ها نحن نقوم بنزهة أخرى. في الخارج أجمل بكثير. داخل المنازل المناخ شاحب رطب.

الحارس الليلي: - أولاً اعتقدت أن عاصفة ستأتي. لكن الآن أصبح الطقس جميلاً جداً.

القسيس: - الريح بعثرت الغيوم. السماء واضحة.
الحارس الليلي: - مع كل دقيقة تزداد السماء وضوحاً. تلك هي النجوم.

القسيس: - في غرفة القبو الذي هناك تبدو لوحة مريم العذراء.

الحارس الليلي: - نعم، إنها لأعجوبة!

القسيس: - لماذا تنظر هكذا إلى هناك؟ هل هناك شيء ما؟

الحارس الليلي: - السيد القسيس!

القسيس: - نعم، ماذا ترى؟

الحارس الليلي: - هناك في القبو يجلس أحدهم؟

القسيس: - أين؟

الحارس الليلي: - في قبو السيد فريكس!

القسيس: - حقاً! إنهما اثنان!

الحارس الليلي: - لو نستطيع أن نقرب أكثر. (يقتربان)

القسيس: - ذكر وأنتى! يا للفضيحة! الآن يذهبان إلى السرير..
إنها أنا!

الحارس الليلي: - ربما يرغبان برؤية مريم العذراء!

القسيس: - ليس هذا وقت المزاح! إنني أرتعب خوفاً من الله! هاللو،
من يجلس هناك فوق؟؟

(صمت)

الحارس الليلي: - يعتقدان أن أحداً لن يراهما.. يبدو أن ليس هناك
ما يخيفهما.

القسيس: - إنها أنا! ألا تراها فوق سرير القبو؟

صوت المعلم: - ماذا في الأمر؟

القسيس: - تعال إلى هنا! يا للعار!

(يدخل المعلم ومعه رئيس البلدية): - ماذا عندكما؟

القسيس: - انظر إلى القبو!
المعلم: - يا للعة! تتمتعان بأجمل منظر تقع عليه عين الإنسان!
رئيس البلدية: - الآن، هذا أمر يجب أن يلقى الحساب العسير!
ما الذي تفعله تلك الفتاة فوق؟
الحارس الليلي: - من المحتمل أنهما في انتظارنا. ليعرضا علينا
دعارتهما!

القسيس: - أيقظوا فريكس!
المعلم: - حتى يرى أيضاً ما يجري!.
الحارس الليلي: - يا عش اللقلاق! (يخبّط على منزل الأب).
فلاحون (ياتون): - السلام على الرب أيها القسيس! ما الذي يجري
في قبو فريكس! إنها تصلي جيداً رافعة فخذيها! (ضحك)
الأب (يدخل مسرعاً): - ماذا في الأمر؟ هل من حريق!
الفلاحون: (يضحكون بشدة).
المعلم: - كلا، لا يوجد حريق!
الأب: - ما الأمر إذاً؟
(ضحك)

رئيس البلدية: - لا شيء. فقط نحن نمتع أنفسنا!
الأب: - يا للشيطان! أهكذا تتكلم؟!
(ضحك)

القسيس: - إنه عقاب من الله على الطريقة التي تدير بها بيتك!
الأب: - إنني لا أفهمكم!
الحارس الليلي: - لقد استولى الشيطان على ابنتك!
الأب: - أين هي الآن باسم الشيطان!
الحارس الليلي: - الشيطان ينام فوقها في قبوكم يا سيد فريكس.
(ضحك متواصل).

موكب السمك

(دراما في فصل واحد)

الشخصيات :

- صياد السمك
- زوجته
- الرجل الأول
- الرجل الثاني
- الصيادون الستة
- الشحاذ
- الشحاذة

(منزل صياد السمك. في البهو الداخلي: إلى اليسار نافذة مع ستائر من الموسلين. إلى اليمين، تقريباً في الوسط، سرير مع ستائر. إلى اليمين أيضاً باب خشبي مربع الشكل. وسط الغرفة طاولة خشبية. إلى يسار الجدار الجانبي أريكة جلدية وقربها شبكة لصيد السمك. باب إلى اليمين. الوقت ليل. تنام في السرير زوجة صياد السمك.)

الزوجة: - (في نوم عميق، تتكلم في نومها) توم! توم! إتركني! (تستيقظ، تجلس في الفراش) يجب أن تكون الساعة قد بلغت الثانية عشرة ليلاً منذ وقت طويل. لم يحضر بعد. لم يصطد شيئاً هذا اليوم والآن هو يشرب النبيذ. أواه (ترتمي على الفراش من جديد) أواه! (تنام) (سكون. ثم دقات على الباب). صياد السمك: - ها! إفتحي الباب!

الزوجة: - (تمشي إلى الباب) توم! (تحمل شمعة بيدها، تفتح الباب، تتراجع).

(صياد السمك يدخل المنزل متكئاً على شخصين يحملانه). صياد السمك: - (بغضب) لماذا لا يفتح الباب فوراً عندما أعود إلى البيت؟ الزوجة: - كنت نائمة!

صياد السمك: - الباب يجب أن يبقى مفتوحاً باسم الشيطان! وإلا لن يدخل أحد إلى هنا.

الزوجة: - وعندما أكون نائمة؟

صياد السمك: - ليقّ مفتوحاً من الآن فصاعداً! نقطة على السطر! (يتمايل حول الطاولة).

الرجل الأول: - زوجك لا يحتمل الشراب أيتها السيدة. بعد الكأس الثالثة جننا به إلى البيت.

الزوجة: - إنه ممتلىء من جديد، مثل برميل. ولكنه برميل فارغ!

صياد السمك: - ليس لك مثل هذا الكلام. عندما أشرب تحضرني أفضل الأفكار.

الزوجة: - أفكارك سنرميها للمزابل!

صياد السمك: - لا يشعر المرء بالجوع إذا كان سكران. ألا ترين؟

الرجل الثاني: - يجب أن ترمي نفسك على السرير.

صياد السمك: - هو الآخر سكران أكثر مني. عندما يجلس يغط في نوم عميق. إنه يمشي تعباً مثل زورق تتقاذفه الرياح الغربية. لكنه سيشرب القهوة معي.

الزوجة: - أيجب أن أذهب إلى المطبخ في منتصف الليل؟

الرجل الأول: - ليس بسببي يا سيدة.

صياد السمك: - أيجب أن أتي إلى البيت عند الصباح؟ تحركي إلى المطبخ! واجعليها ساخنة!

الزوجة: - (تمضي إلى المطبخ) ليتك تموت وأنت تسكر!

صياد السمك: - اللعنة! إنني أنام! يا امرأة! (ترجع الزوجة): - أتنادينني من جديد؟

صياد السمك: - أريد أن أغتسل!

الزوجة: - وفي منتصف الليل؟!

صياد السمك: - إغ ت س س س ال! عندما أغمض عيني، تتحول السماء حمراء بلون الزهور.

الزوجة: - (تغسل رأس زوجها بالماء).
الرجل الثاني: - إنها مثل هرة مبتلة!
الرجل الأول: - زوجها قرد غبي أبله.
صياد السمك: - يا للشيطان! نسيت غليوني هناك. يا امرأة،
أحضريه.

الزوجة: - بقميص النوم؟
الرجل الأول: - يمكنهم على الأقل إلقاء نظرة عليك!
الرجل الثاني: - هل أذهب أنا؟
الرجل الأول: - في الليل يجب أن لا تذهب زوجتك.
الزوجة: - سيضحك الجميع من مظهري إذا ذهبت.
الرجل الأول: - هل يمكنك أن تحضر الغليون بسرعة؟
الرجل الثاني: - ليس الدرب بعيداً.
الرجل الأول (للزوجة): - يجب ألا تذهبي من أجله إلى هناك.
صياد السمك (للرجل الثاني): - يجب أن تعود إلى هنا سريعاً،
يورغن، من أجل أن نشرب القهوة معاً.
الرجل الثاني: - (يغادر البيت) سأعود بسرعة.
الزوجة: - يمكنك انتظار القهوة. لقد أصبحت جاهزة.
الرجل الأول: - شكراً! لا أشعر بالبرودة.
الزوجة: - لكنك تحتاج لقليل من القهوة.
الرجل الأول: - ما زلت أرى بوضوح.
الزوجة: - إذاً أغمض عينيك!
الرجل الأول: - هذا الضوء سيء جداً.
الزوجة: - زوجي ينام بسرعة.
الرجل الأول: - إنه سكران.
الزوجة: - إنه خنزير!

الرجل الأول: - ليس بمثل هذه الطريقة يعود الرجل إلى بيته.
الزوجة: - بل بمثل هذه الطريقة يعود زوجي دائماً إلى البيت.

الرجل الأول: - تبدين جميلة!
 الزوجة: - لا أرتمي إلا قميص نوم واحداً...
 الرجل الأول: - لا بأس به..
 صياد السمك: - (مستيقظاً) أين القهوة؟ الماء بارد جداً أحضري
 القهوة.. ما الذي لا بأس به؟
 الزوجة: - الماء البارد!
 صياد السمك: - اذهبي إلى المقهى واحضري الغليون أيتها
 الدجاجة!
 الزوجة: - لكن يورغن ذهب إلى هناك من أجلي.
 الرجل الأول: - كنت أريد من يورغن أن يبقى.
 الزوجة: - - (تضحك ثم تمشي إلى المطبخ).
 صياد السمك: - كما لو أنا حيوان! الكسل التام! ما هذه البهولة!
 الرجل الأول: - أن أن أذهب.
 صياد السمك: - هل شربت القهوة؟
 الرجل الأول: - أشعر بدوار.
 صياد السمك: - اجلس!
 الرجل الأول: - عندها سأنام!
 صياد السمك: - أنت تزني بزوجتي! ذلك ظاهر! أستطيع احتمال أي
 شيء!
 الرجل الأول: - أليس النوم مع زوجتك في الفراش دافئاً وجميلاً؟
 الزوجة: - (لزوجها) يجب أن تطرده من البيت.
 الرجل الأول: - أيتها النصف عارية. ليس عندي امرأة. لذا سأفعلها
 معك!
 الزوجة: - وإذا كان عندك امرأة؟
 الرجل الأول: - عندها يختلف الأمر.
 الزوجة: - هذا ما يقوله الرجال دائماً!
 الرجل الأول: - لست كذلك. ثم إنني لست سكران.

الزوجة: - هل تستطيع أن تمسك بالمقلاة في المطبخ؟
الرجل الأول: - أستطيع. فأنا لست سكران. (يذهب إلى المطبخ).
صياد السمك: - (يرفع رأسه عن الطاولة) رأسي يضج ويطنطن!
كأنني في حلبة للخيول. وهذه الشمعة الملعونة!
فمه ملآن بالكحول! المحتال يعب الشراب مثل بالوعة! كأنما
الشراب ليس له ثمن! أين هو ابن القرد الآن؟ آها، وقوفاً!
هدوءاً! إمشِ يمينا، تقدم! (يتجه يساراً نحو برميل الماء) إحنِ
جسمك! ضع رأسك في الماء! (يغمس رأسه في ماء البرميل)
برررر! (يسمع صوت سقوط المقلاة في المطبخ) هاللو! ماذا
هناك؟ (يمشي برأسه المبتل إلى اليمين ويتنصت. يتراجع إلى
اليسار) يا امرأة!

(تدخل الزوجة): - ماذا؟ ماذا هناك أيضاً؟
صياد السمك: - مريولك! أحضره! بسرعة! (يدق الأرض بقدميه).
الزوجة: - أين غمست رأسك؟ تلك مياه للغسيل!
صياد السمك: - هذا واضح يا صاحبة المريول!
الزوجة: - (تأخذ منشفةً من مشجب الملابس وتجفف به رأس زوجها)
دعني أذهب أيها المسخ!

صياد السمك: - هكذا! والآن جفّفي قدمي! قهوة! هل علينا أن ننتظر
حتى الصباح؟ ألن تغلي القهوة إلا بضربة على مؤخرتك؟
وتتجولين بهذا المريول؟ هل يجب أن استدعي القسيس؟
والآن امشي (يلبّطها برجله. تتجه يمينا. يجلس إلى الطاولة
مفكراً) إنها لا تمشي. صاحبنا سكران مثل سعدان. وذلك
الرجل نصف عار من ملابسه في المطبخ. أنا أنام على كل
حال. النوم جميل سواء أكان ذلك الرجل موجوداً أم لا. النوم
جميل. هناك، حيث لا ضوء، تهجم البهائم بعضها على بعض.
وفي منزلي! سأرميه خارجاً. يا للصليب! النوم هو الأفضل.
الزوجة: - (تحضر القهوة) إليك بها. إشرّب.

الرجل الأول: - (خلفها) القهوة جيدة. (يشربون القهوة).
صياد السمك: - إجلسي هنا. أنتِ. ناوليني الشبكة.
الزوجة: - ماذا تريد أن تفعل بالشبكة؟
صياد السمك: - (يضرب على الطاولة) سترين الآن!
الرجل الأول: - الآن في عز الليل؟
الزوجة: - (تناوله الشبكة) هل تريد أن تتصيد السمك الآن؟
صياد السمك: - أتصيد السمك! ها ها ها!
الزوجة: - لم تصطد شيئاً طوال النهار! فقط كنت تسكر. هذا ما كنت تفعل.
صياد السمك: - (بانتصار) عندما أسكر تأتيني أفضل الأفكار.
عندما أسكر أتصيد السمك. إفتحي الشبكة!
الزوجة: - الآن في الليل؟ (تبدا بفتح الشبكة).
صياد السمك: - (يضرب على الطاولة) نعم الآن في الليل.
الرجل الأول: - هذا سيء، الآن لن أعمل شيئاً سوى النوم. ألم تنم؟
عليك أن تنام.
الزوجة: - كما يفعل سائر الناس.
صياد السمك: - كما نفعل نحن عندما يستلقي أحدنا هكذا
ويستسلم - هناك ثقب أخريا امرأة - ثقيلاً يبدو مثل مرساة
تغرق - حيوان كسول! ولا يعرف شيئاً إنه ممتلىء يبدو له كل
شيء سيان.. هل انتهيتما؟
الرجل الأول: - (يقف) أشعر أنني أصبحت ضيفاً ثقيلاً. شكراً
جزيلاً للقهوة. نم جيداً.
(يغادر)
الزوجة: - مساء الخير. شكراً لأنك أحضرت هذا السافل السكران
إلى البيت.
صياد السمك: - (يضرب على الطاولة) - ترتيب!
الزوجة: - غداً أرتب كل شيء!

صياد السمك: - كسولة! اذهبي إلى المطبخ! ترتيب! غسيل
الفناجين!

الزوجة: (تأخذ الشمعة) - أواه! النوم ينخر عظامي.
صياد السمك: - اتركي الشمعة! اذهبي. (تمشي الزوجة). تحت
الطاولة توجد أقدام! بصحتكما! على هذا الخنزير أن يدفع
ثمن القهوة! رائحة قدميه، فخذان فوق قدميه وأيضاً، دائماً
وأيضاً، يمسكها بيديه، لا يتركها، هكذا تدخل الأسماك من
النافذة! استراحة! (يقف، يحمل الشبكة، يربط الشبكة بأطراف
السريّر، يحمل حجر المرساة ويرميه على سطح السريّر، يصعد إلى
وسط السريّر) هكذا، هذا ما يلزم لها وله! والآن استراحة!
انجاز جيد! حبيبتي! زنا! سُكّر! كن شاطرأً يا هذا... فتياً مثل
هرة! (ينزل عن السريّر) والآن سأغمس رأسي في البرميل ثم
أنام. (يخرج مترنحاً).

(يدخل الرجلان)

الرجل الأول: - نستطيع أن نعود معاً بسلام إلى البيت. إثنان
أفضل من واحد.

الرجل الثاني: - وأنا أحضرت الغليون وأنت نلت وطركَ منها!
الرجل الأول: - القهوة شربناها بغيابك!
الرجل الثاني: - لا أعرف إن كان لائقاً أن تشرب قهوتي بينما كنت
أسعى في الليل لإحضار الغليون.
الرجل الأول: - حسناً فعلت إذ كنت غائباً.
الرجل الثاني: - لقد سقطت على الأرض مرتين.
الرجل الأول: - ما كان ينبغي أن تشرب كثيراً!
الرجل الثاني: - بل ما كان ينبغي أن أذهب.
الرجل الأول: - هل نذهب؟ هنا لا يوجد أحد.
الرجل الثاني: - يجب أن أقول وداعاً لهما.
الرجل الأول: - يمكنك أن تضع الغليون هنا.

الرجل الثاني: - لكن كلمة الوداع أين أضعها؟
الرجل الأول: - أنت تزعجهما. يريدان أن يكونا وحدهما.
الرجل الثاني: - ليسا في السرير بعد.
الرجل الأول: - دعهما. رجل وزوجته!
الرجل الثاني: - أريد أن أقول لك شيئاً: إنها تعجبني أيضاً!
الرجل الأول: - من هي التي تعجبك؟
الرجل الثاني: - لا تجعلني أغضب!
الرجل الأول: - استح! يا لك من كلب صغير.
الرجل الثاني: - ورجل في مثل عمرك يفعلها معها..
الرجل الأول: - إنها مخلصة لزوجها
الرجل الثاني: - أين وجدت إخلاصها؟
الرجل الأول: - في قلبها.
الرجل الثاني: - لكننا معجبان بفخذيها!
الرجل الأول: - لن أتكلم معك بعد الآن. أنت خليع فاحش.
الرجل الثاني: - جبان!
الرجل الأول: - بغل كبير!
(يتضاربان)

(يدخل صياد السمك): - ماذا يجري؟ أنتما مخموران كالخنازير! وفي بيتي؟! كنت رميتكما في البالوعة لو لم أكن منهكاً!
الرجل الأول: - هو البادئ!
الرجل الثاني: - اسكت أيها الكذاب!
(صياد السمك يلقي بنفسه على المقعد الجلدي)
الرجل الأول: - تعال معي إلى الخارج!
الرجل الثاني: - مساء الخير أيها الصياد. هل تنام؟ الآن سنرى من منّا سيذهب إلى الخارج دون رجعة! (يخرج الرجلان. صوت هدير البحر من بعيد).
(تدخل الزوجة من الباب) اغلقي النافذة. موسيقى الخنازير!

الزوجة: - (تغلق النافذة) لماذا تستلقي على المقعد.

صياد السمك: - اصمتي!

الزوجة: - كسول مثلك لا يستطيع أن يخلع بنطلونه! أي حيوان

أنت؟! ها أنت تنام! لكنك سرعان ما تستيقظ! وهذا السرير

لنا! هل أنا جزء من بهيمة؟! (تجلس على الفراش) إنها الثانية

بعد منتصف الليل. في الرابعة يطلع الفجر، لكنه ينام حتى

الحادية عشرة. الآخرون يذهبون باكراً إلى الصيد. ليسوا

مثله. الآن ينام. (تأخذ الشمعة وتضعها على حافة النافذة). أين

صار الرجل الآن؟ ليته يكون الغالب. لم يكن رأسه فارغاً. الآن

سيأتي! أية ضجة يفتعلها! يا يسوع مريم! أية ضجة يفتعلها!

(يسمع صوت صراخ وعراك) (المرأة تنظر نحو مصدر الصوت)

يورغن، باسم الله! والآن ضربه! حبيبي يا أيها المسيح،

ساعده! والآن غلبه، شكراً لله (تصيح).

الرجل الأول: - (يظهر على النافذة) هاللو، أنت!

الزوجة: - ماذا تريد الآن؟

الرجل الأول: - هذا سؤال غبي!

الزوجة: - يحق لي أن أسأل، ماذا تفعل عند نافذتي؟

الرجل الأول: - لماذا وضعت الشمعة على النافذة؟

الزوجة: - لكي تعرف أنه ينام الآن!

الرجل الأول: - الآن سأدخل إليك من النافذة!

الزوجة: - لست أعني ذلك.

الرجل الأول: - لماذا الدعوة إذاً؟

الزوجة: - لأنك قلت إنك تخاف أن يضربني زوجي.

الرجل الأول: - ألم يضربك؟

الزوجة: - لماذا؟

الرجل الأول: - لأنك كنت في المطبخ!

الزوجة: - كان سكران!

الرجل الأول: - لماذا وضعتِ الشمعة على النافذة؟
 الزوجة: - ماذا حصل للرجل الآخر؟
 الرجل الأول: - لقد نال ضربة على أذنه..
 الزوجة: - والآن.
 الرجل الأول: - نال نصيبه!
 الزوجة: - ليتك لم تضربه. ألا تريد الدخول؟
 الرجل الأول: - (يدخل من النافذة) هيا بنا!
 الزوجة: - إنه نائم على المقعد!
 الرجل الأول: - هل نمشي إلى الداخل؟
 الزوجة: - ليس الآن! يمكن أن يرانا!
 الرجل الأول: - (يقترّب من صياد السمك ويقرب الشمعة من وجهه) هل
 ينام؟
 الزوجة: - نعم، نعم. أنت توقظه من جديد.
 الرجل الأول: - وإذا ذهبنا إلى الداخل؟
 الزوجة: - ألا يعجبك هنا؟
 الرجل الأول: - بل أنا معجب بك في أي مكان!
 الزوجة: - يمكنك أن توفر الشمعة! نحتاجها في الصباح الباكر..
 الرجل الأول: - (يطفيء الشمعة) إنه ميّت من السكر!
 الزوجة: - على المقعد!
 الرجل الأول: - لماذا لا يكون ذلك في السرير؟ هل هما ركبتاك؟
 الزوجة: - نعم. انتبه! إجلس هنا.
 الرجل الأول: - إنه سكران تماماً.
 الزوجة: - مثل حيوان!
 الرجل الأول: - هل هي يدك؟
 الزوجة: - لماذا يسكر إلى هذه الدرجة؟
 الرجل الأول: - كي آتي به إلى هنا!
 الزوجة: - وأنا أطرّد من فراشي!

الرجل الأول: - هل كان السرير دافئاً؟
الزوجة: - كنت أنتظره...

الرجل الأول: - في قميص النوم؟
الزوجة: - طوال النهار لم يصطد شيئاً. إنه خنزير!
الرجل الأول: - هل هذا صدرك؟
الزوجة: - دعني!

الرجل الأول: - هل تتوجعين؟
الزوجة: - أنت، دعني!
الرجل الأول: - ولكنك أطفأت النور؟
الزوجة: - ولكن هذا غير مسموح لك.
الرجل الأول: - حسب الوصية السادسة؟
الزوجة: - فمك لا تفوح منه رائحة الكحول!
الرجل الأول: - أنا رجل متوازن!

الزوجة: - دع ركبتني!
الرجل الأول: - هكذا تترتاحين أكثر..
الزوجة: - أواه..

الرجل الأول: - الآن هكذا أفضل!
الزوجة: - لا. كلا!

(يسقط حجر على الأرض محدثاً خبطة عالية. تصرخ الزوجة بصوت خافت. يهرول الرجل الأول والزوجة. ثم يجلس الإثنين بهدوء تام إلى الطاولة).

صياد السمك: - (يرفع رأسه) ها هي السماء تتساقط. هولاه. إيقاظي سيكلفكما غالباً. (يقف ويشعل شمعة) منذ فترة طويلة لم يستعملا الشمعة. خنزيران. (يمضي إلى السرير) وقت الطعام! هل أنت هنا؟ هل أنت سكرى؟ ها ها ها! خنزيران! هذا هو موكب السمك! تلك هي السماء! (يذهب إلى النافذة).

(تهرب الزوجة والرجل الأول فيتعثران بشبكة الصيد ويقعان فيها)

الرجل الأول: - يا للشيطان! إنها الشبكة!
صياد السمك: - هذا ما تبقى لكما! لا تتعب نفسك! الشبكة قوية!
لقد فردتها زوجتي! واليوم لم أصطد شيئاً بعد!
(يطبل على حافة النافذة) هاللو! أسماك! أسماك! أسماك! تعالوا
مرة إلى هنا! عندي شيء ما لتشاهدوه! لقد اصطدت سمكاً!
أصوات من الخارج: - هل جننت؟ ما الأمر؟
صياد السمك: - أسماك! أسماك!
أصوات من الخارج: - هل أنت سكران؟
صياد السمك: - تعالوا! أسماك!
الرجل الأول: - يا للشيطان! لقد فضحنا!
صياد السمك: - أسماك! أسماك! (يذهب إلى الباب).
(صيادون يدخلون من الباب): - ما الأمر؟ لماذا هذه الضجة؟ هل
نلت ضربة من أحدهم؟
صياد السمك: - لقد حدث أمر فظيع! لقد اصطدت سمكاً!
(الآخرون يهزون رؤوسهم متعجبين): هنا؟ قبل ساعات كنت
سكران مثل برميل!
صياد السمك: - نعم، كنت سكران! لذا لم أستطع الخروج. لقد
اصطدت هنا!
الآخرون: - أين زوجته؟ معه لا بد من التكلم بكلام معقول!
صياد السمك: - زوجتي لم تكن هنا. أنا سكران! أعتقد أن زوجتي
تحولت إلى سمكة. هل تسمعون الريح، ذلك هو الرب الحبيب
الذي سيأتي مع العاصفة. إذهب إلى هناك، قالها الرب، حيث
ستحصل على صيد عظيم.
الآخرون: - يجب سكب الماء على جبهته. إنه يهذي!
صياد السمك: - (يصرخ، ويمشي إلى أمام) أسماك! أسماك!
(الآخرون يتقدمون ناحية الشبكة): - هل هي ميتة؟ هل هي جثة؟
يوجد رجل آخر معها! إنهما إثنان! هل هو الآخر جثة؟

(يضحك الجميع) إنها الزوجة وعشيقها!

الرجل الأول: - (يصرخ من قلب الشبكة فوق السرير) يا للشيطان! ابعدوا هذه الشبكة عنا! يا للشيطان! ضعوا علينا شرشفاً على الأقل!

صياد السمك: - إنه مستعد أن يدفع لكل واحدٍ منكم ثمن كأسٍ إذا سمحتم له بالخروج من الشبكة!
الرجل الأول: - نعم، كأس لكل واحد أيها الشيطان العجوز غطّ زوجتك بشرشف أولاً!

(صياد السمك لأحدهم): - إحضر المشروب أيها الشاب، قبل أن يندم! إسحبوا الأسماك أيها الشباب وارموها خارجاً حتى تبرد. أمسكوا بالقضبان، احملوها بانتباه وغنّوا أغنية جميلة! مثل هذا الأمر لا يحدث كل يوم!

الآخرون: - (يعلقون الشبكة بأحد القضبان ويجرون الزوجة والرجل الأول بعيداً تحت وابل من الضحك).

صياد السمك: - أسماك عارية! أسماك جميلة! أسماك مدهنة، سمينية، منتفضة! دعوها تسبح، لا أريدها! اعطوها الحرية أنا تخلّيت عنها! لكنه كان صيداً عظيماً! أدعوكم جميعاً للبقاء معي. كل واحد منكم أدعوه إلى حفلة التخلص من الجثث. بالنسبة لي، زوجتي ماتت. كانت رفيقة عمر صالحة. اشربوا الكحول، لأن عشيقها هو الذي سيدفع، كونوا مسرورين لأنني حزين! اجلسوا معي واطردوا الغم عني!

(يجلس الصيادون. يدور المشروب على الجالسين بالقناني. بعضهم يغني. وبعضهم يلعب الورق).

صياد السمك: - (يشعل الشموع) ضعوا الشموع في أعناق القناني. تلك هي أضواء الموتى. لا تطفئوها عندما تضحكون. الطاولة ممدودة في مائتكم، أزيحوا رؤوسكم عن بعضها، عندما تتقيأون

إليك بالكؤوس، جلبتها من الدكان، فزوجتي ماتت وأنا لا أعرف أين توجد الكؤوس في البيت. (تصفر الرياح. يغني الصيادون).

أحد الصيادين: - الريح آتية من بعيد. سيكون الطقس بارداً. اشربوا فسوف تشعرون بالدفء.

الثاني: - أي مكان هذا الذي نجتمع فيه! هل رأيتم كيف كانت السمكتان تنتفضان؟! أليس جميلاً منظرهما؟! ثم جلستا هادئتين بين أيدينا... هاهاها..

صياد السمك: - أرجوكم لا تضحكوا في هذا المأتم. ألا يمكنكم أن تسكروا دون ضجة. ألا تلاحظون إنني أكاد أقع عن الطاولة؟
الثالث: - كانت زوجة جيدة، وكان تصرفها في مكانه. ذهبت واغتسلت ومشطت شعرها وخرجت.

الأول: - أية ريح تلك التي تلفحنا! اسمعوا! أية ريح هذه!

الرابع: - إشرب يا عزيزي! ما شأنك والريح؟!

الثالث: - كانت تبدو جميلة من خلال قميص النوم.

الثاني: - أنت! ذلك كان كفنها!

الأول: - كانت ممسكة بقميص نومها من أعلى وكانت ملتصقة بعشيقها. اللوم يقع عليك أنت لأنك منعت زوجها من رؤيتها عارية!

الرابع: - ليس الجو ودوداً هنا، على الرغم من النبيذ والقصص الجميلة.

السادس: - وقعت معركة كبيرة هنا.

الخامس: - في سريره! تلك كانت وقاحة لا تغتفر!

السادس: - كان الصراخ منتظماً! كان ذلك بمثابة تأبين!

الخامس: - وبعد ذلك جاء النبيذ وذهبت الزوجة!

صياد السمك: - اجلسوا، ولكن اتركوا هذه الثثرة! زوجتي ماتت.

الآن تأتي الريح، وعندما تمضي الريح، لا تعود زوجتي هنا.

كانت زوجة طيبة. الريح تمضي...! اسمعوا واشربوا زوجتي
غرقت مع الريح!

الرابع: - كان عليها أن لا تفعلها في سريرك!
صياد السمك: - لقد عاقبني الرب! لقد شربت كثيراً! كانت أفضل
زوجاتي! إشربوا واطلبوا إكليلاً من الزهور لروحها. السلام
عليك يا مريم، سامحيني، السيد المسيح معي. سيدي، أعطها
الراحة الأبدية. (يصلي وحيداً)

الخامس: - هذا جنون. إنه يحملُ الرب ما لا يمكن تحميله!
السادس: - إنه سكران.

الرابع: - لو لم تضربها باستمرار لما تعرضت لهذا العار.
الثالث: - إنه الفجور!

صياد السمك: - أيُّ فجور؟! أنتمما ناجران! لقد ضربني الرب وأنتم
تسخران مني؟! من فقد زوجته سواي؟ أنا خاطيء كبير
سكّير سافل، تافه، لكن الآن عاقبني الرب وليس مسموح
لأحد أن يضحك لمصيبتي!

الآخرون: - (يقفون) لقد أصبح مجنوناً!
فلنذهب. سنأخذ المشروب معنا. إنها زوجة مسكينة، وذلك
السكران يستحق ما أصابه. بإمكانها دائماً أن تجد من جديد
رجلاً مثله.

صياد السمك: - كفى شتماً! أين هو الرجل الذي يحتمل مثل هذ
المصائب؟ ليس عندكم حياء! أنتم بلا دين! أنا حزين حتى
أعماق روحي (يشرب)

الآخرون: - خذوا منه قنينة النبيذ. لقد أصبح عقله ضعيفاً.
صياد السمك: - (يقف، حاملاً قنينة النبيذ) هذه هي حفلة الدفن
وأنتم هم الضيوف. لكنكم أصبحتم الآن سكارى وتهرفون
بالشتائم. عليكم أن تستحوا من أرواحكم البائسة.
الآخرون: - (يحاولون أن ينتزعوا القنينة من يديه) دعها أيها الوغد

العجوز! أعطنا القنينة. سنضربك حتى الموت!
صياد السمك: - الشهوة تشتعل في جباهكم والعسل يقطر من
أسنانكم! أنتم أوغاد! أنتم منحطون! أنتم منحطون!
الآخرون: - (يتدافعون صوب الباب خارجين) معاذ الله، إنه مجنون!
نفسى تقشعر اشمئزاً منه! لا أريد أن أشرب بعد الآن!
دعوه مع شموعه! ربما بأعجوبة من الله يموت سكران مع
آخر قنينة!

صياد السمك: - (يطفىء الشموع ويُبقي ثلاثاً مضيئات. يتخبط
بالمقاعد).

الرجل الثاني: - (من الشباك الذي إلى اليسار) أنت!
صياد السمك: - (يمشي نحوه) من هذا؟ هذا أنت! تعال إلى الداخل.
زوجتي ماتت!

الرجل الثاني: - (يدخل إلى الغرفة. وجهه ينزف دماً)
صياد السمك: - هل تسمع الريح؟ لقد غرقت زوجتي!
الرجل الثاني: - متى؟
صياد السمك: - قبل قليل.

الرجل الثاني: - كيف عرفت أنها ماتت؟
صياد السمك: - الرب أيقظني! هناك وجدت زوجتي ميتة على
الفراش. كانت تبدو مثل سمكة، هل تسمع. لكن، تعال اشرب
معي. ما أقسى الوحدة.

الرجل الثاني: - أنا لا أفهمك. أمرٌ فظيع حدث هنا. هل شربت كل
هذه القناني؟

صياد السمك: - نعم، إشرَب! لقد وزَّعها علينا عشيقها!

الرجل الثاني: - هل كان عندها عشيق؟

صياد السمك: - عشاق عديدون. لكن الشراب نلته من آخرهم.

الرجل الثاني: - منذ متى وأنت جالس وحدك هنا.

صياد السمك: - كلا. كان هنا بعض الناس. ضحكوا كثيراً ثم

ذهبوا. لقد شاهدوا عاري وهم يحكون الآن قصة عاري في كل مكان.

الرجل الثاني: - هذا مخيف. يجب أن أذهب.
صياد السمك: - لماذا الدم على وجهك؟ هل ضربك أحدهم أيضاً؟
الرجل الثاني: - أشعر بالتعاسة لأنني شربت كثيراً.
صياد السمك: - أنت صديقي الوحيد، لأنك أيضاً منحوس الحظ.
لقد زارني الرب في بيتي. لقد أعطيته قلبي وقلت: خذه. لكنه أخذ زوجتي. هذا ما كنت أتوقع.
الآن سأشرب حتى الموت. الذنب ذنبي.

الرجل الثاني: - متى كان ذلك؟
صياد السمك: - قبل قليل. عندما سألني الرب في نهاية النهار: أنت فاسد منحط، أين يجب أن أرميك؟ عندها أجبت: في الجحيم، حتى آتي إلى زوجتي!

شحاذا: - (يقف في الباب، وخلفه تقف شحاذا). تعالي! هل يوجد هنا نبيذ؟ قالوا لنا، المرء يحصل هنا مجاناً على النبيذ!
صياد السمك: - تعالا واجلسا! زوجتي ماتت.

(يجلس الشحاذا والشحاذا): - كانت زوجة طيبة!
صياد السمك: - اذكروا أمواتكم بالحسن! إشربوا!
الشحاذا: - الريح في الخارج. هنا الدفء والأمان.
الشحاذا: - النبيذ طيب. محزن أن تفقد زوجتك!

صياد السمك: - أصبحت وحيداً! لكنهما حيوانان! (يضرب الطاولة بيده) حيوانان! عندما غمست رأسي في الماء، جاءني فكرة الشبكة. نظرت إلى النجوم وفكرت: ذلك سيساعدني!
الشحاذا: - كأن ضميرك هو الذي يتكلم. يفهم المرء الكثير مما تقول. (يشرب بكثرة).

(يجلس الشحاذا والشحاذا على المقعد الجلدي إلى اليسار ويتهاوسان من وقت لآخر ويغمغان).

الرجل الأول: - (في الباب من جهة اليمين. مبلل بالماء) أنت! هل يمكنني أن أتناول جرعة من نبيذي؟

صياد السمك: - يمكنك أن تجلس. لكن بهدوء. لم أعد غاضباً. هل جففتك الريح التي غرقت بها زوجتي؟ إجلس واشرب. كل شيء باطل! (يتكلم بصعوبة ويهذي)

الرجل الأول: - (يتقدم من الطاولة)

الرجل الثاني: - (يقف. يتأملان بعضهما) أتعروا على الجلوس؟

الرجل الأول: - (بتردد) يجب أن أتكلم معه.

الرجل الثاني: - (يتقدم من الرجل الأول يترنح قليلاً) هل يجب أن أضربك أيها الخنزير؟

الرجل الأول: - (يشرب) أحذرك لقد صحوت تماماً!

الرجل الثاني: - (يجلس مترنحاً) سأضربك غداً!

الرجل الأول: - يجب أن أتكلم معه (يشرب).

الرجل الثاني: - إنه يهذي عن الرب. ماذا تريد أن تقول؟

الرجل الأول: - لقد حدث شيء ما! (يشرب)

صياد السمك: - (في حالة هذيان) الرب زارني! الرب اصطادني من قلب النبيذ! هل تسمعان الريح؟ الرب قادني على متن الريح إلى هناك.

الرجل الأول: - زوجتك تهول خارجاً في الليل ولا تجروا على العودة. وتصيح في الريح: - إنه غاضب جداً.

الرجل الثاني: - لقد نال نصيبه!

الرجل الأول: - (لصياد السمك) نحن جميعاً مخطئون!

صياد السمك: - (يعانقه) الآن هي سكرى، وأنا وحيد، ولا أحد يقف إلى جانبي.

الرجل الأول: - (يشرب) يجب أن تقبلها من جديد (يشرب باستمرار).

(يضع صياد السمك رأسه على الطاولة): - عندي خمسة أولاد.

هل يجب أن أقبلها من جديد؟!

(للرجل الثاني النائم الذي يتمدد تحت الطاولة) قل له. أنا سكران. قلبي يؤلمني (يبكي) يجب أن أقبلها من جديد. كلهم شاهدوكما! يا لبؤسي!

الزوجة: (تقف بالباب مبلة. شبكة الصيد على كتفها) - هل ما زال غاضباً؟

الرجل الأول: - إنه نائم. (يمشي نحوها مترنحاً يرغب بأن يعانقها. لكنها تدفعه إلى الخلف).

الرجل الأول: - لقد تكلمت معه من أجلك!

الزوجة: - أخرج من هنا. (ترمي شبكة الصيد على الأرض) إذهب الآن إلى منزلك. (تدفعه خارجاً. تسحب الرجل الثاني عن الأرض وتدفعه خارجاً) خنازير! خنازير! اخرجوا من هنا!

صياد السمك: - (يستفيق بصعوبة) إنهم حيوانات! وأنتِ عليك بالصلاة! قدّاس لروحك! حيوانات! الريح! أرواح! (يعود للنوم)

الزوجة: - (تقفل النافذة. تجمع قناني النبيذ وتحملها إلى المطبخ. تصطدم بالشحاذ والشحاذة) ماذا تفعلان هنا.

الشحاذ: - فقراء!

الزوجة: - هيا من هنا! ألا تخجلان؟

الشحاذة: - البرد شديد في الخارج! والريح!

الزوجة: - (تدفع الشحاذ والشحاذة بالمكنسة إلى الخارج ترنو إلى صياد السمك أثناء تنظيفها للغرفة) لماذا أنت سكران إلى هذا الحد؟ هل أحضر لك القهوة؟ (لا تسمع جواباً) كان الأجدى بك أن ترمي شبكة الصيد في البركة! الخنازير! (تنظر إليه) إنه ينام. (تحمل زوجها إلى السرير وتطفئ الشموع).

مسرحيات قصيرة



في كتاباته المسرحية يكشف «بريشت» عن قوانين العلاقات السائدة بين الناس في زمن الحرب، سواءً أكانت هذه العلاقات دينية الطابع، ميتافيزيقية خلقية مرتبطة بنسيجها الاجتماعي كما في مسرحية «الكتاب المقدس»، أم كانت هذه العلاقات سلطوية طبقية إقتصادية، سياسية، تاريخية تتحكم بها آليات العلاقات المتعددة والمتنوعة بين أنماط إنتاج اجتماعية مختلفة، يستمد «بريشت» مصادرها من الشرق والغرب، وبنى فكرية مفهومية مشتبكة في نسيج تلك العلاقات كما في «دائرة الطباشير القوقازية» و«شفيك في الحرب العالمية الثانية» و«السيد بونتيلا وخادمه ماتي».

لقد برهن «بريشت»، الذي كتب أكثر من ثلاثين مسرحية، على قدرة فائقة في تعاطيه مع اللغة الألمانية. فقد استطاع أن يصهر اللهجة في قالب متجانس سهل، كما امتاز بالدقة الفائقة في اختيار التعابير متجنباً استعمال الكلمات ذات المدلولات الواسعة الشاملة التي انغمس في لفظيتها المسرح الرمزي الأوروبي قبل «بريشت» والمسرح الشعري الشكسبيرى والرومنطقي.

والمسرحيات القصيرة الثماني التي بين دفتي هذا الكتاب، نأمل أن تقدم جديداً في الشكل والمضمون يحتاجه المسرح العربي في نهايات هذا القرن.